د . عصمت سيف الدولة

حوار مع الشباب العربي

اهداء

هذا حوار جرى على صفحات مجلة " الشورى " فيما بين شهري مايو (ايار) ١٩٧٤ وسبتمبر (ايلول) ١٩٧٥ تحت عنوان " على السفود،... بتوقيع " ابوذر، ... أهديه الى الجيل الجديد من الشباب العربي الذي كنت اعنيه وحده بما كتبت واخاطبه وحده وانا اتحدث الى الاخرين ...

عصمت سيف الدولة

القاهرة في ٤ فبراير (شباط) ١٩٧٨

١

تعارف

في مكان ما من الوطن العربي جاءني العدد الاول من " الشورى " جاءني محمولا على رأس حمار . لم ار الحمار. لكن لا بد ان حمارا ما قد حمله على رأسه بين اذنيه مرحلة من الطريق بين طرابلس وبين المكان الذي انا فيه. كيف تصل " الشورى " بعد شهر كامل من يوم صدورها الا اذا كان قد عوقها رأس غبي؟. بعدا للحمير عن طريق الفكر القومي .

ملحوظة: اضيفوا كلمة التقدمي الى شعار المجلة ، ليس كل فكر قومي يستحق النشر ، نستمر ، العدد الثانى جاء محمولا مع رسالة صديق . مطلوب، من اجل عيون الامة العربية، ان اكتب في "الشورى " . تكرم الامة العربية اما الكتابة فلا. لماذا هربت اذن الى مكان ما من الوطن العربي. كرهت الكتابة لاني كرهت الكتاب. كرهت من بين الكتاب كافة القوميين. اولئك الذين يتغزلون في عيون الامة العربية، امة جريحة تنزف، تنهشها الذئاب، تلعق دماءها الكلاب، تستغيث. لا تسمع من ابنائها الا كلمات الغزل . مقرف. شيء مقرف. لهذا اكره الكتاب القوميين . اكره ترجمة مأساة امتي الى كلمات مرصوصة بدلا من ثورة عارمة. قاطعت الكتابة قاطعت الكتب. قاطعت الكاتب دعوت الله من كل قلبي الا يحشرني مع الكتاب القوميين ولو في جنات النعيم . اني افضل جهنم . هناك ساتسلى- على الاقل- برؤية اعداء الامة العربية وهم يلقوون جزاء ما اجرموا . ساكون مشغولا عن جهنمي بمتعة الانتقام في الاخرة ممن حرمونا دولة الوحدة في الدنيا . انعزلت انتظر الانتقام الممتع.

جاءتني رسالة مع العدد الثاني من مجلة " الشورى، تطلب الى ان ادخل الجنة على صفحاتها. المدخل هو النهي عن المنكر . صدق الله العظيم . ليس ثمة منكر اشد ما يدور الأن في الوطن العربي . لا تخشى شيئا. لن تجد في الجنة احدا من الكتاب القوميين . انت تظن انهم سيدخلون الجنة لانهم من " اليتامى المساكين وابناء السبيل " في.. وطنهم!! بعض الظن اثم . وظنك من البعض الاثم . تعالى الله علوا كبيرا . اكتب في " الشورى " ولا تخف فان الله قد حدد مصيرهم في جهنم بآية صريحة. في الجنة قد تقابل ذلك الرجل الذي تمنيت دائما لو كان عربيا .

لينين .

كانوا نفرا لا يزيدون عن اصابع اليدين عددا. يتحاورون . اختلفوا • انشقوا أغلبية (بلشفيك). و وأقلية (منشفيك) . لماذا انشقوا؟.. ماذا كان الموضوع؟.. انهم يواجهون دولة القياصرة " هيل وهيلمان . وجند بالملايين وشرطة عاتية. سجون ومشانق . وحلفاء كثير من اوروبا. يريدون ان يسقطوها وهم نفر لا يزيدون عن اصابع اليدين عددا. لم يختلفوا ولم ينشقوا حول " كيف " يسقطون دولة القياصرة . كانوا اكبر من هذا. كانوا ثوريين حقا. الثوريون حقا لا يتهيبون قوى الاعداء. اعتبروا اسقاط القيصرية بكل هيلها وهيلمانها وجندها وشرطتها وحلفائها.. مسألة مفروغا منها. مسلمة. يقال مسلمة ولا يقال لا مسلم بها ، قياسا على ثوريتهم الصلبة كان اسقاط دولة القياصرة قضاء نهائيا على من يستحق السقوط . لا نقض ولا ابرام . لا خوف لا تردد لا تعقل لا حكمة لا واقعية ولا يحزنون . تحاوروا واختلفوا فانشقوا لانهم لم يتفقوا على ما يفعلون بالدولة بعد اسقاط القيصرية. ثم انفضوا مختلفين . وبعد بضع سنين اسقط لينين ورفاقه دولة القياصرة . وبدأت المسيرة الظافرة . مائة وخمسون مليونا اقل حضارة وعلما من سكان اليمن السعيد اصبحوا اليوم، بعد نصف قرن ينافسون على قمة البشر. ترى ما الذي كان قد حدث لو كان لينين قد خاف او تردد او تعقل .. اللهم اغفر لعبدك لينين الملحد وادخله الجنة حتى التقي فيها بثوري تمنيت دائما لو كان عربيا.

اما القوميون،

اليتامى المساكين ابناء السبيل فإلى جهنم . قبلوا اليتم والمسكنة والتشرد . قبلوا الظلم لم يقاوموه. ظلموا انفسهم . اعوذ بالله من الشيطان الرجيم . بسم الله الرحمن الرحيم : "ان الذين توفهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا ". صدق الله وعدل . انه- سبحانه- لا يحرض على الهجرة بل يتحدى بها مماحكات الاذلاء . قبل الهجرة المقاومة. بكل حيلة وكل سبيل . قال تعالى مكملا نذيره : " الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا. فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا ". لا عفو ولا مغفرة للقادرين على دفع الظلم ويظلمون انفسهم فيختارون ان يكونوا مستضعفين في الارض .

كل الاديان تعاقب الظالم . الاسلام وحده يعاقب المظلوم ايضا، اذا لم يقاوم الظالمين . العزة للمؤمنين هذا قرار قرآني . اذن من ذل كفر وكل كافر في النار. اذن فيا ايها القوميون الذين قبلتم ان تكونوا يتامى ومساكين ومن ابناء السبيل في وطنكم العربي خوفا من اعداء امتكم ان مأواكم جهنم وساءت مصيرا.

لا اريد ان التقى بكم في سعيرها. سادافع عن الامة العربية. حيلتي الكتابة. سبيلي الكلمة. اللهم اغفر لي عجزي عن حمل السلاح فقد بلغت من العمر عتيا. ادافع ضد من؟.. ضد الذئاب؟.. ضد الكلاب؟.. لا. لن اعود الى صفوف المغنيين او الندابين . هذه المرة ليس ضد الذئاب او الكلاب. ضد الكتاب . ضد " الشورى " ومن يكتبون فيها. ان غنوا ساندب . ان ندبوا ساغنى . اريد افساد جوقتهم حتى تكف عن الغناء او البكاء . اريد ان يصمتوا . ان احملهم على بلع الكلمات . لعلهم ان يتحولوا من القول الى الفعل . لعل طاقاتهم التي يبددونها كلمات فاترة ان تتحول الى حركة ثائرة. ان تتحول الشورى الى منشور او منشار.

فيا ايها الذين تفرشون مصير الامة العربية كلمات منمقة على صفحات من الورق المصقول لقد جئتكم من مكان ما فخذوا حذركم . والله المستعان .

على السفود :

هذا عنوان دائم .

قالوا ان الانسان حيوان ناطق . ربما. ليس دائما ، يكون ناطقا حينما تكون الاصوات الخارجة من حنجرته قابلة للفهم . بعض الذين يكتبون في " الشورى " ، غير الناطقين ، مثال : قال مطاع صفدى في العدد الثاني من مجلة " الشورى " :

" ليست الامة العربية فعل الماضي في الحاضر . وذلك لان الماضي يفعل في الحاضر عندما يكون الماضي هو الحي والحاضر هو الميت " !!..

ياسلام !!

وقال : " ان اعادة ادخال الشعب الركودي الى حلبة الحدث والفعل، واستجابته للتفجير الكياني داخل قواه الكامنة وتشريكه في عملية التغيير الشمولية، لا تتم عن طريق التاكيد على الروابط التقليدية في وحدته السكونية " .

ياحفيظ !!

هذه اصوات عربية. ليس هذا نطقا . يا اخ مطاع :
ان اردت ان تطاع فاسأل المستطاع . ان اردت ان يفهمك احد فاكتب ما يمكن لاحد ان يفهمه. الشعب العربي لا تنقصه الالغاز. الغاز النصر والهزيمة تكفي وتزيد . اتحدى من يستطيع ان يجيب من الواقع العربي على السؤال : ما هو النصر وما هي الهزيمة وما الفرق بينهما؟.. لا.. ليس الانسان حيوانا ناطقا.. دائما .

الانسان، دائما، آكل لحم . صدقوني ، كل الشعوب تاكل اللحم . تختلف في الجنس واللون والدين والنظم السياسية والاجتماعية وفي اللغة والادب والامزجة وفى قطر الجمجمة شكل قطاع الشعر وطول عظمة العضد .. الى اخره ، ولكنها، كلها، تأكل اللحم . اللحم " سلعة " نصف مصنوعة. ليست مادة خام اولية . توضع المواد الاولية من النبات في جوف الماشية. تصب عليها عصارات معوية. تتفاعل كيمائيا. تتحول الى خلاصة من اللحم تختزنها الماشية في افخاذها واماكن اخرى وتطرد النفايات. نأخذ نحن اللحم ونكمل صنعه. نحوله الى سلعة استهلاكية . ننضجه على النار. نضع اللحم خروفا خروفا ، او قطعة قطعة، او نتفة نتفة، تبعا لكميات " النفط " الذي تنتجه كل دولة عربية على حدة . نضعه فوق النار محمولا على قضيب دقيق من الحديد . لنشويه. لننضجه ليصبح مفيدا. قضيب الحديد هذا اسمه " السفود " .

هكذا اخترت العنوان .

اول من استخدم السفود عنوانا المرحوم مصطفى صادق الرافعي . الف كتابا اسماه " على السفود" . خصصه لشوي المرحوم عباس محمود العقاد . رحمهما الله . كانا عملاقين . احدهما يعرفه الجيل العربي الجديد كان وراء العقاد حزب فعرف الشعب العقاد . وكان الرافعي فردا فرديا مفردا فضاع. الفردية ضياع حتى في الادب. الفعل الخالد هو ما تفعله الجماعة المنظمة. لو كان الرافعي من جماعة لكان كتابه " اعجاز القرآن " ، بعض ما يدرسه الجيل الجديد في المعاهد . اذن لعرف الرافعي عبقري اللغة العربية وصاحب اسرار عبقريتها . ولقرأ له الشباب " اوراق الورد " و "رسائل الاحزان ". ابلغ وارق وانبل رسائل الحب في كل اللغات . كان يكتبها للاديبة مي زيادة. كان يحبها. لم يرسها اليها . لم تكن تحبه لانه لم يكن وجيها حتى في الوجاهة والحب يضيع الفرد الفردي ولو كان متفردا بالعبقرية.

لنعد الى السفود .

من اجل الا تضيع " الشورى " الوليدة يجب ان تكون منبرا جماعيا . العددان الاول والثاني فرديان. كتبتهما جماعة من الكتاب يغنى عنها واحد منها . هذا هو معنى الفردية . فكرة واحدة في العدد الاول كتبها كل واحد منهم . اختلاف بسيط في التناول واللغة. لا اختلاف في المضمون . معنى واحد عن " الوحدة " متكرر من صفحة الى صفحة فوق توقيعات متعددة . العدد الثاني عصاة واحدة رفعها متعددون واسقطوها على رأس الماركسية . هذا فقر في المادة . الفردية فقر . الفرق بين التعدد والجماعية هي قسمة العمل . التعدد الفردي تكرار ممل والجماعية تكامل خلاق . المجلة منبر جماعي . يعطي كل واحد ما عنده اضافة الى ما يعطيه الاخرون . يتكاملون . تصبح المجلة خلقا جماعيا . تقرأ كل كلمة فيها لان كلماتها غير متكررة . يقرأ كل عدد منها لان كل عدد غير معاد . هكذا نريد " الشورى " سنشوي الشورى على السفود لو عادت الى التعبير عن موقف فردي تخفيه تحت عناوين متعددة .

هل عرفنا السفود؟

لينتبه كل كاتب في " الشورى" الى جلده . انها تحمل شعار " مجلة الفكرالقومي ". الفكر القومي ليس مباحا لكل قادر على الكتابة . ليس متروكا لتجربة الاساليب.. مع ذلك هي مجلة الشباب العربي بدون حاجة الى الحاج محمد السخاوى في العددين . ماذا نفعل؟.. سنتقبل ماتكتبون ، ايها الشباب، في كل عدد لنشويه في العدد التالي . لانضاجه فلا تغضبوا . اريد من كتاب " الشورى " ان يفهموا اننا نشوى لننضج لا لنحرق هل في هذا عيب؟!. لا اريد ان اتعرض لاظافرهم المطبوعة ينهشونني بها في " الشورى " كتاب ينهشون بالكلمات الجارحة. هؤلاء يخيفونني من الان . لا. لست جبانا الى هذا الحد لكني ضد المغامرة والتهور الطائش . هل من الشجاعة ان اتعرض لمثل الكلمات النهاشة التي قدم لنا منها اسماعيل مرهج عينات حادة في العدد الثاني من الشورى؟..

رد اسماعيل مرهج على صلاح حافظ يحاوره فانشب كلماته في عنقه : التلفيق، العبث الكلامي الذي لا رصيد له، اكثر من حجمه على الورق ، المماحكة السخيفة، الاضطراب، الحقد، نفث السموم .. الى اخره. ليس هذا حوارا هذه مذبحة . فقد اسماعيل مرهج عن طريق النهش بالكلمات الجارحة قدرا كبيرا ما كسبه بالاجتهاد الصحيح .

لا تنهشونا عندها نشويكم على " السفود، حتى لا نترككم على النار اكثر مما تطيقون فتحرقون .

وقد اعذر من أنذر . والبادي اظلم .

أبو ذر :

لماذا ابو ذر توقيعا ؟..

أخوفاً من الكلمات الطويلة؟.. واسباب اخر . كثيرة . اولها الاقتداء بالصحابى الجليل ابو ذر الغفارى يقولون انه اول الاشتراكيين . كلام . الاشتراكية نظام اقتصادي اجتماعي حديث . ولد من رحم الرأسمالية تصحيحاً لعلاقاتها الاجتماعية الخاطئة. الاسلام اقدم من الاشتراكية والرأسمالية. الاسلام ابقى من الاشتراكية والراسمالية . الاسلام اشمل من الاشتراكية والرأسمالية . الاسلام فوق الاشتراكية والرأسمالية . الاسلام نظام للانسانية بغير حدود من المكان والزمان . يجتمع في قواعده كل ما هو مشترك بين بنى الانسان في كل مكان و زمان . لا يدنو اكثر من هذا زمانا ومكانا . في ظله يعيش الاشتراكيون والرأسماليون ويتحمل كل منهم مسؤولية ما اختار على ضوء مصلحة الجماعة في زمانها ومكانها . ثم يحشرون . من اختار استغلال الانسان نظاما فالى جهنم . ومن اختار تحرير الانسان نظاما فالى الجنة . عندئذ يعرف الظالمون أي منقلب ينقلبون . يكون الاشتراكيون مسلمين ويكون المسلمون اشتراكيين ولكن الاسلام ليس اشتراكيا . الخاص ينسب الى العام وليس العكس . واضح ام انها اصوات غير ناطقة ؟..

كان ابو ذر يقول؟ ليس للمسلم ان يمتلك الا ما يحتاج اليه ليعيش بدون اسراف . ما يفيض هو ملك المسلمين كافة. كذلك فهم وفسر الصحابى الجليل قوله تعالى : " وانفقوا ما جعلكم مستخلفين به ". وقوله : "وآتوهم من مال الله الذي آتاكم " . المال مال الله وللانسان حق النفقة منه . الحديث يقول " ليس لك من مالك الا ما اكلت فافنيت ولبست فأبليت وتصدقت فأبقيت ".

الفيء (الغنائم) للمسلمين يقسم فيما بينهم اخماسا . نص في القرآن صريح . فلما فتح المسلمون العراق عادوا الى عمر يطلبون قسمة ارضه (السواد) . استشار العبقري ثم قرر . الفيء للمسلمين نعم . للمسلمين جيلا بعد جيل . فكيف تقسم الارض بين جيل الفاتحين فتحرم منها اجيال قادمة من المسلمين .

لا. تجرى القسمة في المال المعد للاستهلاك . اما مصدر الانتاج الدائم فيبقى ملكا عاما للمسلمين . هكذا افتى عمر ونفذ فلم يعرف الاسلام في عهده ملكية رقبة الارض قط .

اين من عمر دعاوى الاشتراكيين .

لم يكن عمر اشتراكيا . لا. ولا كان ابو ذر . رضي الله عنهما. كانا مسلمين اجتهدا فاختارا ما ينفع المسلمين . ليس هذا سبب اختيار " ابوذر " توقيعا . كثيرون قالوا ويقولون ما قال ابو ذر . اعجبني من ابي ذر انه كان يقوله متحديا ولي الامر امير المؤمنين واصحابه في سلطة الخلافة . شجاعة ابي ذر هي المغرية. يعجبني التحدي بالحق بدون حساب " لموازين القوى ". ابو ذر نموذج الثائر وليس نموذج الاشتراكي . أستعرنا اسمك يا استاذ الثوار فعسى ان يكون فينا بعض من شجاعتك . لنقول " للشورى " بحسم عقاري . ارفعوا اسم ثورة الفاتح وقائدها من صفحاتكم . لا عداء . وكيف يكون العداء للصامدين الرافضين . السبب انهم دولة الجماهير العربية تريد- ولو مرة واحدة في تاريخها الحديث- أن تقرأ الكلمة القومية بعيدا عن ظل الدولة . ان يكون لها منبر مستقل عن سلطة الدولة. هل هذا ممكن؟ ممكن . ثورة الفاتح من سبتمبر وقائدها ورفاقه يقبلون ان تصدر " الشورى" في ليبيا ولا تكون ليبية . لماذا تصر " الشورى " على الانتساب الضمني بأن تطرح في افتتاحية العدد الثاني اقتراحا لا طاقة لها بتنفيذه الا اذا غرفت من خزائن الحكومة الليبية ؟.. مهلا يا جمعة؟ .. اجل اقتراحك الى ان تستطيع الشورى ، حمل عبء الانفاق عليه من عائدها الخاص . ولماذا تصر الشورى على الانتساب الضمني بان تطرح على صفحاتها كلمات عن ثورة الفاتح بقلم قائد الثورة؟..

ان افضل ما قاله القذافي في حياته جاء في برقية وصف نفسه بانه "شاب عربي من شمال افريقيا". يا هلا بكل الشباب العربي . بهذه الصفة يكتب. وبهذه الصفة سيلتقى به ابوذر على صفحات "الشورى" . ولعله الوحيد من بين الحاكمين الذي يمكن ان يوضع ما يكتبه على السفود بدون ان يتعرض ابا ذر للنهش والبطش . الاخلال بهذا الشرط يعنى انني لا استحق الاسم الذي استعرته. فالى اللقاء.

الفراسة.

الفراسة هي معرفة الكل عن طريق الملاحظة الدقيقة للجزئيات . اسلوب علمي . مارسه العرب وعرفوا به. على رمال الصحراء قدمين لهما اتجاه . نظر السائر يطابق الاتجاه دائما . ننظر الى اثر القدمين . ان كان الاثر مائلا الى اليسار (ميلا دقيقا) عن خط الاتجاه فالسائر فاقد العين اليسرى او ضعيفها. ان كان اثر القدم اليمنى اعمق من اثر القدم اليسرى فالسائر يحمل على كتفه اليمنى ثقلا. ان كانت الاثار متتابعة عن قرب فالسائر يجري ، ان كانت على البعد المألوف فهو يمشي الهوينا. ان زادت المسافة بين القدمين عن شبرين فهو طويل . ان قلّت فهو قصير. ان كان يجري فهو خائف. لا. انه مستعجل . الاثر لاصابع منفردة . الخائف تتقلص اصابع قدميه وتنكمش . هكذا كان العرب يعرفون من الجزئيات حقائق كثيرة . بلغت الثقة في صدق الفراسة عند العرب الاحتكام اليها في صحة النسب .

انا عربي ،

رئيس تحرير مجلة الشورى متزوج " سعيد " . المرأة ليست مشكلة في حياته. لا تثير انتباهه. هكذا غابت اقلام الاخوات العربيات من صفحات الشورى . هكذا غابت مشكلات المرأة العربية من موادها. ان كنتم تريدون اقامة دولة الوحدة للرجال فقط فاني اقليمي . ان كنتم تريدونها للشعب العربي رجالا ونساء فافسحوا مكانا مرموقا لشريكات المصير الواحد . عجز الرجال عن انقاذ امتهم فعسى ان تحقق اخت عربية لامتها ما حققته لدولتها، ولا نقول جان دارك ، بل نقول بندرانيكا وانديرا غاندى وجولدا مائير . ان الله لا يستحي من الحق .

اخيرا .

تعارفنا. حسن . هل نبدأ ؟.. تلك قسوة . غدر . نكتفي اليوم بالتعارف . ليستعد الجميع وموعدنا العدد القادم . ومن يريد ان يعيننا على شوى الكتاب فليرسل الينا بحطبه نقدا ينضج ولا يحرق فنصوغه غفاريا . لست نادما على الصبر الا لان العدد الاول قد افلت . كنت اريد ان احرقه. انه ليس مجلة انه مقتطفات من كتابات وكتب شخص بعينه. لماذا لم تضعوا عليه اسمه وترسلوه اليه. هذا لا يجوز . حذار من التكرار العدد الثاني افضل ، ينقصه التنسيق من اجل التكامل في المضمون . اعجبني مقال بدون توقيع . اعجبي غياب التوقيع . سأحلم بيوم تلتقي فيه " الشورى " بقرائها مادة مجردة من التوقيعات . حينئذ سيلقى كل مقال ما يستحقه لا ما يستحقه صاحبه.

الى اللقاء اذن .

أو وداعا.

قد اعود وقد لا اعود . يتوقف الامر على ما ستفعله " الشورى " باللغة التي تصدر بها. لا اقبل الكتابة في مجلة تحمل صفحاتها كل تلك الاخطاء اللغوية . تثيرني الاخطاء الساذجة. اغفر للأفراد الاخطاء التي لا يكتشفها الا الضالعون في علم اللغة . ولكني لا اغفرها لمجلة تستطيع ان تقوم لغة الكاتب فيها بمن يستطيع التقويم .

والسلام على من اتبع الهدى

٢

مع المتشائمين :

مالتس (١٧٦٦- ١٨٣٤) كان قسا فقيرا. نشر في ١٧٩٨ كتابا لم يضع عليه اسمه. كان البحث العلمي عند الكنيسة هرطقة . اسم الكتاب " بحث في مبدأ السكان " فكرته بسيطة. يزداد عدد السكان بنسبة هندسية ١: ٢: ٤ : ٨ : ١٦: ...... الخ . تزداد المواد اللازمة للمعيشة بنسبة حسابية ١: ٢: ٣ : ٤ : ٥ ...... الخ . النتيجة كارثة من الجوع .

ريكاردو (١٧٧٢- ١٨٢٣) كان عضوا في مجلس العموم البريطاني . كان غنيا فلم يخف. نشر كتابا وضع عليه اسمه. اسم الكتاب " مبادىء الاقتصاد السياسي " . فقال ، اول من قال ، ان العمل هو مصدر القيمة. اخذها عنه ماركس . اخذ عنه ايضا نظريته في الاجور. قال ريكاردو : انه في ظل المنافسة الحرة (النظام الرأسمالي) يتجه السعر الى ان يكون مساويا لتكلفة الانتاج . لو ان سلعة بيعت باكثر من تكلفة انتاجها لزاد الربح فيها عن غيرها . زيادة الربح تدفع المنتج (الرأسمالي) الى زيادة انتاج تلك السلعة . يزيد المعروض منها عن الطلب عليها . ينخفض سعرها . يتجه الى ان يكون مساويا لسعر تكلفتها. ثم قال ريكاردو: ان العمل سلعة. يتوقف الأجر (ثمن العمل) على العرض والطلب في سوق العمل . اسماه الاجر الجاري . ارتفاع الاجور يؤدي الى زيادة عدد العمال الراغبين في العمل . يتنافسون . تهبط الاجور. تتجه الى ان تكون مساوية لتكلفة انتاج العمل ذاته. وقال ريكاردو: ان تكلفة انتاج العمل ذاته هو المواد الضرورية لبقاء الانسان قادرا على العمل مجرد قادر على العمل . اسماها الاجور الطبيعية. اذن، تتجه الاجور (الجارية) الى ان تكون مساوية للاجور (الطبيعية) .. في ظل النظام الرأسمالي . النتيجة كارثة فقر للعمال.

اثنان من علماء الاقتصاد الرأسمالي . متشائمان . لانهما توقعا كوارث النظام الرأسمالي ولم يعرفا الحل ، لم يعرفا الحل الاشتراكي . هذا جاء فيما بعد . اذن ، التشاؤم هو توقع السوء والجهل باسباب منعه او ردعه او تلافيه.

فرويد يقول غير هذا.

قال فرويد : " التشاؤم منشأه الدوافع العدوانية القاسية المكبوتة. فالجزء الاكبر من التشاؤم ينم عن الخوف من شر مستطير. ومن يتمنى لغيره الشر، ولكنه يضطر الى كبت هذه النزعة الشريرة في اللاشعور نتيجة لحسن تربيته (شكرا..) فانه يتوقع العقاب على هذا الشر المكبوت عقابا يأتيه من الخارج على شكل شر او نحس ".

فرويد كاذب. انتهز فرصة اثبت فيها ان فرويد كان اكذوبة .

ها انذا متشائم . لا اتوقع " للشورى " حياة طويلة . من عدد الى عدد اشعر بأن هذا الوليد لن يعيش حتى نراه كما نتمناه . متشائم انا لانني لا اعرف . اتوقع السوء ولا أعرف كيف تنقذ " الشورى" من مصير لا يستحقه الفكر القومي التقدمي الذي تحمل شعاره . هل نترك " الشورى " تموت ؟ هذا نكوص . النكوص مرض . النكوص وباء في الوطن ا لعربي .

مرض النكوص:

مكدوجال عالم في النفس . يونج علامة . علامة صيغة مبالغة من عالم . قال العالم يلخص ما قاله العلامة : " النكوص فعل نفسي يفيد- بمعناه العام- ابتعاد الانسان عن طريق التكيف مع الحياة الى حالة الطمأنينة التي يشعر بها الطفل بين ذراعي امه قبل ان يكتشف مسؤليات الحياة " . يقول ويلز، وهو علامة اخر : " النكوص اخفاق الطاقة في مواجهة الموقف الراهن " . النكوص، اذن اسلوب مرضي يجتنب به المريض العقبات التي تصادف مسيرته . هرب. كم هم الناكصون هربا من متاعب تحقيق الحرية والاشتراكية والوحدة في الوطن العربي ؟ القوميون التقدميون لا ينكصون وما ينبغي لهم . لنواجه اذن العقبات التي تعرقل مسيرة " الشورى " .

ماذا تريدون؟

سؤال الى كل الذين كتبوا العدد الثالث من " الشورى" . ان شئتم والعددين الاول والثاني . ماذا تريدون؟.. تنثرون كلمات طيبة من بالونات محلقة بعيدا بعيدا، بعيدا عن حياة الناس من امتكم . تلك مقدمة مقبولة أن هبطتم من بعد تحليق لتزرعوا البذور في الارض فتثمر حياة كان موعد هبوطكم العدد الثالث بعد ان عرف الناس من العددين الاول والثاني الاتجاه العام لمجلة " الشورى " . لا. لماذا كل هذا التجريد النظري؟ هل هذا هو كل ما في جعبة الفكر القومي التقدمي؟.. اذن فستستمر الحياة على ما تكرهون وانتم محلقون .

الامة بشر . الامة ارض . البشر جوعى . عرايا. مرضى .اميون . مقهورون . الوطن ممزق . الارض مغتصبة محتلة. موات لا تستثمر. حلقوا ما شئتم ثم اهبطوا وقولوا ما ينفع الناس . كيف يشبع الجوعى؟ كيف يكسى العرايا؟ كيف يصح المرضى؟ كيف يتعلم الجهلة؟ كيف يتحرر المقهورون ؟ كيف يتوحد الوطن؟ كيف تسترد الارض؟ واسئلة اخرى . بعد كيف اين . بعد اين متى... الخ .

اتمنى لو ان " الشورى " ، الزمت كتابها ان يختموا ما يكتبون بجملة ملزمة. اقترح صيغتها : .. "بناء على ما سبق فاني (أي الكاتب) ارى ان يفعل القراء كذا في مكان كذا في وقت كذا...، هكذا يتصل الفكر القومي التقدمي بحياة الناس . ان لم تفعلوا فهي موعظة. وانتم واعظون أو وعاظ . الاولى صفة والثانية " مهنة " فهل انتم واعظون ام وعاظ؟

مثال:

ذلك الكاتب يبلغ نقاء كلماته حد الشفافية. هذا مدح للكاتب وليس مدحا للمكتوب. الكلمات الشفافة تفلت من الانتباه . لا يتوقف عندها النظر. يخترقها ليتأمل غيرها. اخلط ، اخي، كلماتك بما يشد اليها الانتباه ويوقف عندها النظر فلا يتخطاها الا بعد ان يعيها . اتعب نفسك قليلا فإن لك قلما لن يخذلك ان حملته اثقال العلم . تحدث الاخ خالد ابراهيم تحت عنوان " الشورى والطموح الواعي " حديثا سلسا كالماء العذب . شفافا مثله. خواص الماء لا طعم له ولا رائحة ولا لون . اقصد الماء النقي . تحدث عن المدارس . اسماها مدارسنا. القوميون ابرياء من نسبتها يأخ خالد وانت من القوميين لا شك في هذا. انها مدارسهم . مدارس الاقليمية. ليس في الوطن العربي كله مدرسة قومية واحدة. قال انها اجهزة تفريخ موظفين . ماذا كنت تنتظر منهم؟ لا يهم . يهم القوميين ان يعرفوا ما اذا كانت تفرخ قوميين ام اقليميين ما اذا كانت تجنى على الجيل الجديد ام تحافظ عليه. هذا جانب من المشكلة يهم القوميين . نبدأ بالمدارس . نترجمها الى بشر. نوزع الاعداد من بنى أمتنا على مراحل التعليم :

	ابتدائي	ثانوي	معاهد عليا وجامعات
موريتانيا	١٤٢٩٥٩	٣٩٧٠٣	١٣٣٩
المغرب	١١٣٥٨٦٥	٢٧٤١٠٢	٢٤٠٣٤
الجزائر	٤٧٤٤٢٥	٦٨٢٠٥	٢٠٨٦٢
تونس	٨٤٤٩٩٤	٩٥٥٦٤	٤٥٠٧٦
ليبيا	١١٠٢٥١	١١٣٢٤	١٦٤٥
مصر	٣٤٩٢٩٣٥	٩٥٩٣٦٦	٣٥٨٦٢٣
السودان	٤٩٦٦٣٢	١٣٠٠٠١	١٦٢٠٠
الصومال	٢٨٨٩٠	١٧٠٤	٣٤١٨
اريتريا	غير معروف	(تحت الاحتلال الحبشي)	
فلسطين	غير معروف	(تحت الاحتلال الصهيوني)	
سوريا	٧٤٢٦٨١	٢٠٩٧٧	١٢٢٧٠
لبنان	٥٤٤٤٧٥	١١٥٥٤١	٥١٦٣٠
الاردن	٢٢٩٦٩١	٧٥١٣٩	٢٦٥٥٤
العراق	١٠١٧٠٥٠	٢٨٥٧٢١	٥٣٦٥٠
الكويت	٦٥٤٩٥	٥١٤٣٤	٦٢٩٦
السعودية	٣٦٣٤٢٦	٨٥٦٧٤	١٣١٩٩
اليمن	٦٩١٣٩	١٩٤٩	٥٤

ضعيف انا في الحساب . لا بد نسيت دولا عربية اخرى . انهم اكثر من الهم على القلب . اظن ثمة دبى وظبي او ابو ظبي ، قطر ، والشارقة، والبحرين. ودولة يحكمها شخص يسمى قابوس يقتل الشعب بجند من ايران . لايران جند غرب الخليج . رحمك الله يا عبد الناصر والهم امتك فيك الصبر والسلوان..

كفانا هما ما عرفنا ، عرفنا يا أخ خالد ان في مدارسهم ثلاثة عشر مليونا من ابناء امتنا. خلاصة الجيل القادم . كان ذلك عام ١٩٦٧. كم هم الان؟ اجب انت .

منهم ٩٧٥٨٩٠٨ ناشئا في المرحلة الابتدائية. من الذي يعلمهم؟ ماذا يتعلمون؟ باية لغة يتعلمون كيف يرعون صحتهم؟ من يتحمل نفقة تعليمهم؟ اين باقي الناشئة من اطفالنا؟ كم منهم شريد؟ كم منهم لا يجد مكانا في مدارسهم؟ كم منهم يضطرهم الفقر الى العمل في سنه الغض ؟.. اختصارا، كيف تكون التربية والتعليم في الفكر القومي التقدمي وهل توفي الاقليمية بمتطلباته ؟ لو استطاع كتاب " الشورى " ان يجيبوا على هذا السؤال بالنسبة الى ٩٧٥٨٩٠٨ ناشئا عربيا في المرحلة الابتدائية و ٢٤٠٢٨٠٤ يافعا عربيا في المرحلة الثانوية و ٦٩١٥٠٠ شابا عربيا في المعاهد العليا والجامعات، اجابة تثبت من واقع المناهج التعليمية والتربوية وظروف التعليم ومستقبله ان الاقليمية تحرم ابناء امتنا من امكانيات هائلة تقدمها لهم الوحدة ، لكسب الفكر القومي التقدمي خمسين مليونا من الاباء والامهات والاخوة والاخوات المشغولين بفلذات اكبادهم . هكذا يتصل الفكر القومي التقدمى بحياة الناس، ولو كان موضوع الدراسة مقارنة بين نوع وكمية وسعر الخبز في ظل الاقليمية وفي ظل الوحدة . ولتدخل " الشورى " البيوت ولو مع الخبز .

حتى لا يغضب الاخ خالد احكي له حكاية من الصين .

حكاية من الصين:

" شيه هوانج تي " كان اول اباطرة الصين . حكم من عام ٢٢١ الى عام ٢٠٧ قبل الميلاد. انفق اموالا طائلة في بناء الحصون وحفر القنوات وتعبيد الطرق . افتقد الاموال اللازمة لحرب موشكة. بلغه ان بخيلا مفرط الثراء من قرية " لان شو " قد مات عن غير وارث وعن كنز عظيم . كنز دفين . قيل ان احدا لا يعرف مدفن الكنز الا شيخ في القرية . امر الإمبراطور فجيء بالشيخ . عم، ان امك الصين في مأزق حرج . العدو يحشد جنده وجندنا يفتقدون العدة . العدة يلزمها مال. المصير يتوقف على ما تعرف . اين الكنز؟. قال الشيخ : غدا اقول لك . قال الامبراطور: اتقسم ان تقول اذا جاء الغد؟.. قال الشيخ : اذا اقسمت الا تقتلني قبل ان يجيء الغد . قال اقسم فقال اقسم. وافترقا. الامبراطور يعد الجند في انتظار الغد والشيخ ينعم في القصر في انتظار الغد في اليوم التالي قال له صاحبه : اين الكنز؟. قال الشيخ : غدا اقول لك..

لا اطيل . فطن الامبراطور الى ان كلمة الغد في اللغة الصينية تعني ما بعد اليوم اطلاقا ولا تعني اليوم التالي المعارك لا تنتظر احدا. انتقل الامبراطور الى الجبهة وانتقل الشيخ الى السجن وهو يعد بان يقول اين الكنز اذا جاء الغد . ولم يزل حتى اذا مات الامبراطور اطلقوه .

قال له من قال : لماذا لم تقل للامبراطور أين الكنز، قال لانني لا اعرف . قال لماذا قلت انك ستقول . قال : لانعم بالبقاء في القصر. قال : لماذا لم تقل انك لا تعرف بعد ان انتقلت من القصر الى السجن؟ قال : لان السجن اهون من سيف ا لجلاد .

لدينا شيخ عربي اسمه الدكتور عصمت سيف الدولة. كتب في العدد الثالث من " الشورى " مقالا ذا عنوان مقعر . (اعتاقة من اجل الوحدة ام وحدة من اجل الاعتاق) . الموضوع حوار مع نخبة من الماركسيين حول الوحدة العربية . انتهى المقال الى ان الحل هو التنظيم القومي . لو لم يوقع المقال لعرفناه . منذ ١٩٦٥ يؤلف كل عام كتابا . ويكتب كل عام مقالات عدة . كلها، كتب وكتابات تنتهي الى معنى واحد : الحل هو التنظيم القومي . حل اية مشكلة من اول اسقاط الامبريالية الامبركية الى تهجين الاغنام في موريتانيا . ثم ينتهي بجملة مكررة :.. (اما كيف يقوم التنظيم القومي فهذا حديث اخر "..

عم ، اين الكنز، المعارك لا تنتظر احدا. ان كان الدكتور عصمت سيف الدولة يعرف فعليه ان يقول . ان كان لا يعرف فعليه ان يكف عن القول : آمنا بالتنظيم القومي اداة للثورة العربية ولكن يا دكتور عصمت ماذا تريد من القراء؟ ماذا يريد كتاب " ا لشورى " .
انه مثال اخر.

حوار مع الطليعة

تحت العنوان المقعر لمقال الدكتور عصمت سيف الدولة ذكرت " الشورى " انه حوار مع مجلة "الطليعة" القاهرية. كيف كان الحوار؟ انقض الدكتور عصمت سيف الدولة على جماعة من الماركسيين نشروا احاديث لم تعجبه في مجلة الطليعة القاهرية (عدد ايار ١٩٧٤) فجرد بعضا منهم مما يستر العورات وتركهم عرايا فكريا . التجريد والتعرية تمتا بمقدمة عنيفة. كلمات نهشتهم اولا ثم امتدت تجردهم من أغطية الكلمات . اما كان يستطيع الدكتور عصمت سيف الدولة ان يعريهم بدون عنف؟ لا رحمة بهم ولكن ليكون الحوار حوارا. قد لا يعرف قراء " الشورى " ان ما نشر في العدد الثالث تحت العنوان المقعر نشر في الوقت ذاته في مجلة " الطليعة، تحت عنوان بسيط : "الوحدة العربية : دعاء ام دعوة ؟.. " عناصر الحوار ناقصة وهذا ظلم من "الشورى" لقرائها. المقالات التي رد عليها الدكتور عصمت سيف الدولة لم تنشرها " الشورى " لها عذر مقبول . سحب العدد من السوق بعد طرحه لانه تضمن مقالا بذيئا يسب فيه احمد ابو الفتح الرئيس عبد الناصر. (ابو الفتح ليبرالي رجعي عتيد هرب من مصر منذ عشرين عاما قضاها مع سادته في اوروبا ثم عاد اخيرا).. هناك ما ينقص الحوار ولا عذر " للشورى " في عدم نشره . انه تعقيب الدكتور رفعت السعيد على مقال الدكتور عصمت سيف الدولة. لماذا لم تنشره " الشورى "؟ يا اهل " الشورى " كونوا منصفين . يا قراء " الشورى " قال الدكتور رفعت السعيد :

" لكل حوار ادابه وتقاليده، ولقد فتحت الطليعة صدرها رحبا لكل رأي معارض ما دام ملتزما باداب الحوار الموضوعي ، وان ينتهج اسلوبا يبعد بالحوار عن الشتائم والبذاءة . ليس فقط لان مثل هذه الشتائم ليست من اخلاقيات الحوار العلمي وانما ايضا لانها لا تقنع احدا وتخرج بالحوار عن حدود علميته وموضوعيته " ان كلمات مثل (استحقوا ردا رادعا) و (انعدام الجدية) و (كلمات رخوة كسولة) و (كما لو كان نقدا لاحد افلام رعاة البقر) و (دكتور مثل..) و (حديث هازل وانتهازي معا) الى مثل هذه الالفاظ التي ما اسهل ان يرد عليها الانسان بما هو اقسى منها واعنف والتي لا يجوز استخدامها في حوار علمي مهذب انها تهبط برد الدكتور عصمت سيف الدولة الى وهدة ما كنا لنرجوها. ومن تقاليد الحوار ان يوجز الانسان رده وان يضعه في حجم ملائم ميسور النشر. فلقد قلنا رأينا الذي لم يعجب الدكتور شيء منه وكنا سبعة كتاب فأخذنا من مساحة الطليعة احساسا منا بمسؤولية الكلمة عشرون (كذا..) صفحة فقط فاذا بالدكتور يمط شتائمه ويكررها الى حد الاملال ليستغرق هو وحده من الصفحات قدر ما استغرقنا جميعا " .

هكذا عقب الدكتور رفعت السعيد فذكرني باقصوصة مرحة .

يحكى ان شخصا قام خطيبا في اهل قريته يعظهم في امر دينهم . قال : ايها الناس، انكم تسبون الدين حين تصبحون . تسبون الدين حين تمسون . تسبون الدين في كل آن ما بين الصباح والمساء. ازعجتمونا. افسدتم علينا حياتنا وحياة قريتنا. ولقد نفذ صبرنا عليكم . فوالله لان لم ترجعوا عن سب الدين لالعنّن دين ابيكم " وقديما قيل العين بالعين والسن بالسن والبادي اظلم . الفرق بين الذي بدأ والذي رد ان الدكتور عصمت سيف الدولة نهشهم ثم قال في الموضوع حقا . الدكتور رفعت السعيد شتمه ثم لم يقل صدقا .

الاركسة والماركسية :

قال الله تعالى في سورة النساء : " فما لكم في المنافقين فئتين والله اركسهم بما كسبوا اتريدون ان تهدوا من اضل الله ومن يضلل الله فلن تجد لـه سبيلا " . وقال تعالى : "ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم كل ما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم واولئك جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا ".

الاركسة ، والمأركس، والماركسون، من اركس اي قلب ادراكه ، ثلاثية : ركسه يركسه اي رده مقلوبا. وقلب اوله على اخره فارتكس . (بالعامية: " لخبطه "). فهل الماركسية نسبة الى كارل ماركس ام الى الاركسة . يستويان فيما قال الدكتور رفعت السعيد . قال " لقد قبل الشعب السوري- وبرضاه- هذا الانفصال اكرر كلمتي قبل وبرضاه وانا اعرف ان هذا لن يعجب الدكتور عصمت ولكن ما حيلتي اذا كان احدا (كذا..) لم يتحرك لحماية الوحدة يوم ان وقع الانفصال.. ".

هل من يرد ولو انصافا لشهداء النضال الشعبي ضد الانفصال؟.. هل من يصف للدكتور المأركس القتال في شوارع دمشق ودير الزور وحمص وحلب واللاذقية الذي كاد ان يصل الى الحرب الاهلية لولا ان رأت القيادة الرسمية الاعتراف بالانفصال ..؟

ماذا تريد " الشورى " من حوار بعضه نهش وبعضه اكاذيب؟

موعظة من بابل :

كانت مدينة بابل تقع على نهر الفرات شمالي موضع مدينة " الحلة " القائمة الان . قال هيرودوت: " انها مقامة في سهل فسيح يحيط بها سور طوله ستة وخمسون ميلا، ويبلغ عرضه حدا تستطيع معه عربة تجرها اربعة جياد ان تجرى اعلاه ، ويضم مساحة تقرب من مائتي ميلا مربعا. الفرات يشق المدينة. فوقه جسر آية في جمال الانشاء. تحته نفق عرضه خمسة امتار وارتفاعه اربعة. يصل ما بين الشاطئين . المباني من آجر. الآجر مكسو بالقرميد المنقوش البراق ذى اللون الازرق أو الاصفر او الابيض، المزين بصور من الحيوان وغيره . كل آجرة من الآجر تحمل نقشا يقول : " انا نبوخذ نصر ملك بابل " . نبوخذ نصر لم يبن بابل . جدد بنائها وطبع اسمه على آجرها.. كم هي قديمة الرغبة في الخلود.

كان في بابل صرحان مشهودان .

حدائق بابل المعلقة. مقامة على اساطين مستديرة متتالية كل طبقة منها فوق طبقة. غطى سطحها الاعلى بطبقة من الغرين الخصيب يبلغ سمكها امتارا. ترفع المياه من النهر الى سطحها الاعلى بآلات مائية غير ظاهرة . تزرع فيها الازهار والنباتات الغريبة وكثيف الاشجار. وهناك بعيداً عن أعين الكادحين في الارض كان نساء القصر يعشن غير محجبات.. كم هي قديمة الرغبة في السفور.

على بعد خمسمائة متر من القصر والى جنوبه كان برج بابل . صرح شامخ كالجبل يعلوه برج عظيم مدرج من سبع طبقات. جدرانه من القرميد المنقوش البراق . ارتفاعه مائتي متر. فوقه ضريح يحتوي على مائدة كبيرة من الذهب المصمت. وسرير مزخرف تنام عليه كل ليلة واحدة من النساء الجميلات.

تقول الاقصوصة ان اهل الارض من بابل ارادوا ان يتحدوا اله السماء فاجتمعوا على بناء ذاك الصرح العظيم . فلما ان بلغ ما بلغ ارتفاعا " بلبل " الاله السنتهم فلم يعد احد منهم يفهم ما يقول الاخرون . ففشلوا في ان يبلغوا ما كانوا يريدون.. "

منذ بابل، قبل بابل ، في كل زمان ومكان، اذا لم يفهم الناس ما يقوله الاخرون يفشلون جميعا. الناس اذن قسمان : قائلون وسامعون (او قارئون) . عملية الفهم تلزم الفهم . نشهد بأننا حاولنا فهم ما كتب الاخ اسماعيل مرهج في العدد الثالث من " الشورى " تحت عنوان " الدين والقومية وحركة التاريخ " فما استطعنا ان نفهمه جملة. كل فقرة قابلة للفهم . هذا يعنى ان كل فقرة تصلح، وتكفى، فكرة لمقال معقول . ولكنها معا حشد غريب من الفقرات اجتمعت بدون مبرر مفهوم . انتهى الى نتيجة قابلة للفهم بذاتها بدون الغرائب التي سبقتها، فهي بعض ما قيل في " النظرية الثالثة" غير المفهوم هو صلتها بالفقرات العديدة التي حشدت حشدا غريبا. لا يمكن وضع مقال اسماعيل على السفود دفعة واحدة اذ تنقصه الوحدة . يوضع قطعة قطعة وبين كل قطعتين شريحة من البصل كما يفعلون في انضاج الكباب. القطع كثيرة . هاكم عينة للمذاق :

(١)- الحركة- كل حركة- ما لم تقع في نطاق قانون معين تحاكم وتقيم من خلاله فهي شيء اخر ".

يا أخ اسماعيل :

هل هناك حركة بدون قانون؟.. الحركة بدون قانون فوضى . هل هناك شيء اخر غير الحركة ؟. غير الحركة هو الثبات. هل يجتمعان في الوجود؟.. يستحيل . اذن لانشق الوجود بحكم التناقض بين الحركة والثبات فيه.

(٢) - " الناموس الذي يقع ضمنه قانون الحركة يقع بين ثلاثة حدود:
" الاول غاية تسعى اليها الحركة.
" الثاني دافع تصدر عنه.
" الثالث عامل تتحقق به.

يا اخ اسماعيل :

ناموس وقانون . ما الناموس اذا لم يكن قانونا؟.
غاية ودافع . ما الفرق ؟ ؟ قلب : " الغاية هي الهوية ". نستطيع ان نقول ان الدافع هو الحاجة الى الحرية. الحرية في حالة سلب . لتتسق حركة التطور من السلب الى الايجاب في ذات الموضوع . لكنك قلت " اما الدافع فيقع في المهمة التي اوكلت لهذا الانسان وهي التبرير الايجابي لمعنى الوجود من موقع الخلافة الالهية فيه ضمن اطار الغاية وفوق ما سبق تحديدها ". هل توثقت علاقتك بالاخ مطاع صفدى فاستعرت بعض استعمالاته اللغوية. انك لم تكن تكتب هكذا في العددين الاول والثاني. نحاول الفهم . مهمة الانسان هي تبرير الوجود ايجابيا. ألا يعني هذا ان تلك غايته؟ ما علاقتها اذن بالحرية التي قلت انها هي الغاية . وما معنى تبرير الوجود ايجابيا ؟ هل يمكن تبريره سلبيا؟ ثم ان التبرير اثبات او تعليل . فكيف يبرر الانسان الوجود ولمن؟ هل هناك من هو في حاجة الى ان يبرر له الوجود فيقوم الانسان بهذه المهمة من اجل اثباته او تعليله؟ هل الوجود في حاجة الى الانسان ليكون مبررا؟ الم يكن الوجود موجودا قبل ان يوجد الانسان؟ ثم كيف وضعت الانسان موضع الخلافة الالهية في الوجود . يقول الله تعالى : " هو الذي جعلكم خلائف في الأرض . " ويقول تعالى : " ثم جعلناكم خلائف في الارض من

بعدهم لننظر كيف تعملون ". والارض جزء من الوجود. هي ذرة من الذرة مجازا من الوجود فهل من استخلف في الارض يكون قد استخلف في الوجود كله؟

(٣)- " الانسان وجود مركب من المادي والمعنوي و لكن الذي لا بد من معرفته وحسمه هو أي الوجودين يعطيه انسانيته و ادميته " .

يا اخ اسماعيل . ليس في الانسان وجودان . الانسان ليس مركبا من المادى والمعنوى . الانسان كائن نوعي واحد . قسمته الى مادى ومعنوى كان المنزلق الى النظريات التي تهاجمها فيما كتبت وتكتب . من انحاز الى المادى وصل الى الفلسفة المادية و من انحاز الى المعنوى وصل الى الفلسفة المثالية. ويقولون جميعا اما ان تكون ماديا او مثاليا. وهو خطأ . تجزئة الانسان هي الخطأ. في الواقع العلمي الثابت بالحس والتجربة لا يوجد انسان مادة . هذه جثة. لا يوجد انسان معنى . هذه فكرة. الانسان كائن ذكي . هذه كما هو واذهب به الى حيث شئت . لكن- ارجوك- لاتجزئة لمجرد ان تصل بعد حديث متقطع وطويل الى ما تريد ان تقوله : انك تؤمن بالنظرية الثالثة التي طرح فكرتها الاخ معمر . يمكنك ان تقول هذا وتجهر به بدون ان " تتعب حالك " وتتعب القراء...

(٤)- هذه المعاني الكامنة خلف الافعال المادية والحركة نوعان .

" الاول ايجابي خير يمثل الجانب الرحماني من الانسان والذي يوجه افعاله وجهة يجعلها تتسق مع النظام الكوني الذي ارساه الخالق بحكمة جعلت كل شيء مخلوقا بقدر وجعلت التعامل معه عبثا ما لم يكن متسقا مع نظامه.

" الثاني سلبي يمثل الجانب المضاد في الانسان ومهمته تأخذ صفة المعارضة من الاول بحيث يحاول السيطرة على الافعال وتوجيهها وجهة متعارضة مع حركة النظام الكوني فتأتي النتيجة على غير ما يتطلبه طموح الانسان ويتسق مع حركته ووجود المتناقضات في الكون امر لازم تحتمه مقتضيات التطور.

لا حول ولا قوة الا بالله .

يا اخ اسماعيل .

الرحمن مصدر الرحمة صفة لا تنسب الا إلى الله . يوصف الانسان بانه رحيم . ثم من اين جئت بهذه القسمة. قوة خير في الانسان توجهه الى الخير. وقوة شر في الانسان ايضا توجهه الى الشر. اين حريته اذن في الاختيار ومسئوليته عنه ما دام خاضعا لما توجهه قوتان متناقضتان فيه؟ لماذا تقول بعد ذلك ان الانسان " قيادة " ما دام مقودا الى الخير او الشر؟ وتبرر النقيضين في الانسان "لان وجود المتناقضات في الكون امر لازم تحتمه مقتضيات التطور ". هل في الكون متناقضات؟ ما معنى اذن " النظام الكوني الذي ارساه الخالق بحكمة جعلت كل شيء مخلوقا بقدر "؟. هل في الانسان تناقض يا اخ اسماعيل؟ اين ذهب اذن ما قلت في العدد الثاني من " الشورى " : " ان الجدل (التناقض) قائم واساسي في التطور ولكنه ليس كامنأ في المادة وذلك آخر ما توصلت اليه الابحاث العلمية في اكتشافات رذرفورد التي انتهت الى ان الذرة وحدة متزنة مستقرة خالية من الصراع " (بالمناسبة انت قلت هناك انها خالية من الصراع والحركة. وهذا مالم يقل به احد في الدنيا غيرك. الذرة عامرة بالحركة ويقال انها خالية من التناقض). ولماذا يكون وجود التناقضات لازما؟ الآن هذا " تحتمه مقتضيات التطور كما قلت ؟ " التطور هو النتيجة فهل تحتم النتيجة اسبابها ام ان الاسباب تؤدي الى نتائجها حتما؟.

(٥)- بدأت تتكلم عن الانسانية وتطورها وتدهورها وعذابها. اية انسانية يا اخ اسماعيل؟ ان الانسانية قبائل، وشعوب وامم شتى . الانسانية مؤمنون وكفرة. فقراء واغنياء . مستبدون ومقهورون فماذا تقصد ومن تقصد ام انك رسول الى البشر كافة بعد محمد عليه الصلاة والسلام. وهو لا شك كما تعرف خاتم الرسل . واين ادلتك من الوقائع والاحداث التاريخية على انحدار الانسانية؟ اليس التطور الى الامام حتميا بحكم القوانين التي تتكلم عنها فكيف تنحدر الانسانية ضد قوانين التطور؟ وان كانت فلماذا؟

(٦)- واخيرا تقول ببساطة ان اليهودية كانت ثورة. هل قال احد غيرك هذا الا الذين تعرفهم؟ ثم الق بنظرك الى " المشرق حيث الصين والهند ثم جنوبها حيث استراليا ثم غربا حيث افريقيا ثم في الغرب الاقصى حيث امريكا ثم قل لنا كيف تطورت كل تلك الشعوب بدون ثورة من الاديان الكتابية؟

يكفي . واعيد ما قلته لعل الأخ اسماعيل يأخذ به. ان كل فقرة تصلح وتكفى لتكون مقالا مدروسا. اما صب كل تلك المعلومات صبا في اناء من مقال واحد فلا يزيد عن ان يحيلها حشدا غريبا. وزع معلوماتك الغزيرة يا أخ اسماعيل على اعداد " الشورى " ام انت تخشى الا تعيش " الشورى ". ان كنت فأنت متشائم مثلي .

ولا بأس في ان نتفق ولو في هذه . اما اذا كنت تريد ان نتفق في اكثر منها فقل لي ماذا تريد من قراء الشورى .

ماذا يريد كتاب " الشورى " من قرائها؟

غموض الاجابة هو عقبة في مسيرة " الشورى " . ثم عقبات اخرى ولكن هذا يكفي فالى اللقاء.

القاهرة في ١٧ تموز (يوليو) ١٩٧٤

٣

رسالة الى رئيس التحرير :

... واني لحزين . اخشى الا اطيق صبرا على " الشورى " فاطفىء النار واحمل السفود واعود الى الصمت لقد دعوتني فاستجبت وكتبت. كنت سعيدا اذ التقيت بالكاتبين من الشباب العربي على صفحاتها . ادير معهم حوارا جادا مرحا. اخفف من جهامة النقد الجاد بما ادسه فيه من معارف تثير غبطة الاكتشاف . ابذل في هذا جهد " الخاطبة " . تلك التي تحبب الناس في الناس ليصبحوا ازواجا. كنت اريد ان يقترن القراء بالشورى قران حياة من مدخل الحب . هذه هي المرة الثالثة التي احاول الكتابة فيها. واني لحزين . لا استطيع إن اصطنع المرح فلا استطيع ان أكتب ما يثير الغبطة. لست قادرا على كل ما تقدر عليه الخطابات . ان في- " الشورى "- عروس القراء- عيوبا تهدد الخطبة بالفسخ . ألم أقل ان عمر " الشورى " يبدو قصيرا. أن بقيت " الشورى " كما هى سيختفي ابو ذر واحزن انا، ان اختفت " الشورى " سأكون اكثر حزنا على وليد مؤود نعم يا جمعة يا مهدي يا فزاني . ان اختفت الشورى فقد قتلت قتلا. انت المسئول . لهذا اكتب اليك .

تأمل العدد الرابع .

نبدأ بالفهرس . لم تذكروا اسماء الكتاب . من قبل كنتم تذكرونها. استقروا على وضع يستقر وضع المجلة في وجدان القارىء . هذى واحدة .

الثانية ادهى وامر . اختار محرر الفهرس عناوين المقالات على هواه . تلتقط العنوان من الصفحة الاولى تبحث عنه في صفحته فتجد عنوانا اخر . لكل عنوان دلالة ولو تقاربت الصيغ . دلالة العنوان هي المحرض الاول على قراءة المقال .

يقول الفهرس ان في الصفحة الثامنة مقالا عنوانه " الفكر القومي والتوازن الدولى " . يوحي العنوان بادعاء مغرور . الفكر القومي يحتاج الى موسوعة . التوازن الدولي يحتاج الى كتاب. البحث كله تجريد غير مثير . لا داعي للقراءة . ظلمنا محمد السخاوي . لقد كتب تحت عنوان "مسؤوليتنا القومية والتوازن الدولي " . هذا شيء اخر . جدير بالقراءة . كاتب يحدد موقفا من واقع مطروح . ويقول الفهرس ان في الصفحة الثامنة والثلاثين مقالا عنوانه " الاقتصاد العربي " . اعوذ بالله . الاقتصاد العربي؟.. هكذا . مرة واحدة وفي مقال من ١٣ صفحة لا. فنظلم محمد عبد الشفيع. لقد كتب تحت عنوان " الثورة العربية ومعطيات التخلف الاقتصادي ". هذا موضوع حي . يستحق القراءة . فنقرأ دراسة جيدة كنا سنفقدها لان محرر الفهرس رأى ان يمنحها عنوانا من عنده. وعندما يكتب عودة بطرس عودة تحت عنوان " المسئولية القومية تجاه القضية الفلسطينية مرحليا" تحرضنا دقة الصياغة في العنوان على القراءة . فهو يكتب عن القضية الفلسطينية مرحليا. ان كلمة " مرحليا " توحي بأنه يقتحم الاحداث الحالية بقلمه ويقترح علينا مواقف عينية تتفق مع مسئوليتنا القومية. لكن صاحب الفهرس يقتل المقال فيقدمه الينا بعنوان " المسئولية القومية تجاه قضية فلسطين " . عنوان لحديث قديم ممل . ثم قضية فلسطين ايضا؟.. انها قضية الامة العربية . او القضية الفلسطينية للأمة العربية. وبالله عليك يا جمعة، من الذي يقرأ مقالا عنوانه " الهجرة المضادة ".. الهجرة المضادة من اين الى اين؟.. وهجرة من؟.. الطيور ام الاسماك ام الناس؟.. قتل الفهرس مقال : " ظاهرة الهجرة المضادة من اسرائيل؟.. ومن ذا الذي يقرأ عرضا لكتاب عن "وحدة القوى العربية، كما جاء في الفهرس . ان كتابا يحمل هذا العنوان لا بد ان يكون لمؤلف منافق يدعو الى وحدة القوى العربية كما لو كانت كل القوى العربية سواء في مواقفها من قضايا الامة العربية. وظلم صاحب الفهرس صاحب كتاب " وحدة القوى العربية التقدمية ".. إلى آخره .

باختصار يا اخ جمعة ،

ان من يقرأ الفهرس لا يقرأ الشورى . هكذا تقتلون الشورى قتلا .

اما الثالثة فتعود بنا الى حديثي الاول في العدد الرابع . قال ابو ذر فيما قال نقدا للعدد الاول :

" اعجبني مقال بدون توقيع . أعجبني غياب التوقيع . سأحلم بيوم تلتقي فيه الشورى بقرائها مادة مجردة من التوقيعات. حينئذ سيلقى كل مقال ما يستحقه لا ما يستحقه صاحبه ". لا تقل لي انك قد حققت لي حلمي بأن ضمنت العدد الرابع : " رحلات نكسون " بدون توقيع و "الثورة العربية الام " بدون توقيع ، و " ظاهرة الهجرة المضادة من اسرائيل " . بدون توقيع . لم احلم قط بالرقص على السلالم . لا ولا بانصاف الحلول . اما ان يحمل كل مقال توقيع صاحبه . واما الا يحمل اي مقال توقيع صاحبه. لانـي احلم بثبات الشورى على وضع يستقر في وجدان القارىء فيعتاد صحبتها .

اما الرابعة يا اخ جمعة فهو سؤال . لماذا تتحدث الشورى حديثا انقضى بدلا من ان تنير للقارىء افاق المستقبل . " الثورة العربية الام " محاضرة قديمة وهذا واضح من الفقرة قبل الاخيرة من العمود الثاني صفحة ٢٩. " ناصر وقضايا ناصرية " مقال للاخ حاتم صادق كتبه سنة ١٩٧٠ وهذا واضح من الفقرة الاولى ، اهذا كل ما استطاعت الشورى ان تقدمه في عدد صدر في الذكرى الثانية والعشرين لثورة ٢٣

يوليو؟.. كلام معاد؟ هل يرضيك هذا؟.. ان كان يرضيك فهو لا يرضى القراء قطعا . ويضيق به صدر ابي ذر ضيقا شديدا، واني لحزين .

واخيرا الخامسة..

انكم تأخذون ثلث صفحات المجلة (٣٤ صفحة) لنشر كتب مسلسلة. في العدد الرابع نشرتم الجزء الثالث من " التطور الحضاري العربي " . والجزء الرابع من " نظرية الحكم في الاسلام " والجزء لا ادري كم من " كراسة واحدة تجمع نضالات امة ". وبالمناسبة " نضالات " تعبير غير صحيح لغويا . الاصل " نضل " !ي سبق وغلب . ويقال نضال ونيضال بكسر النون وسكون الياء ومناضلة.

ما علينا . لقد اصبحت الأخطاء اللغوية اقل ما تؤخذ عليه الشورى . نعود الى الصفحات التي تملأونها حديثا متتابعا عن التاريخ القديم وغيره . انها كتب مجزأة . لا يوجد في الدنيا قارىء يقبل ان تفرض عليه قراءة عشر صفحات كل شهر من كتاب . وان يحتفظ بمضمونها حاضرا في ذاكرته الى ان يقرأ ما بعدها بعد شهر . اعتقد ايضا ان أي باحث يريد للناس ان يفهموا ما يريد ان يقول لا يقبل ان تقطع اوصال كتابه او بحثه الرصين الى شرائح شهرية . ان كنت تعتقد ان ثمة من يتابع تلك الابحاث التي تنشرونها على دفعات فانك متفائل قد يكون التفاؤل مقتلا . لماذا تقتلون الشورى؟.

... واني لحزين .

من اجل النصر :

بين القوميين والتقدميين والماركسيين معركة فكرية مستمرة . دخلتها " الشورى" منذ البداية منتصرة للفكر القومي التقدمي . لا بد، اذن ، من الانتباه إلى ما تحمله " الشورى " منسوبا الى الفكر الذي تنتصر له . الانتباه مطلوب في كل موقف تحفه مخاطر الخطأ . موقف القوميين التقدميين في المعركة الفكرية مع الماركسيين محفوف بالمخاطر . شبنا في خضم المعركة ولم نعد نملك الا خلاصة التجربة نقدمها الى الشباب القومي .

الماركسية نظرية محكمة الصياغة. يقوم بعضها على بعض كالبنيان المرصوص . في البدء فلسفة مادية. المادية تضاف الى الجدل فتصبح المادية الجدلية منهجا للماركسيين . فهم التاريخ بمنهج المادية الجدلية يؤدي الى المادية التاريخية . توقع المستقبل بمنهج المادية الجدلية يؤدي إلى الشيوعية. الاشتراكية هي المرحلة الاولى (الدنيا) من الشيوعية . هكذا تتوحد الرؤية الماركسية من بدء الوجود الى نهايته. في كل مقولة فروع من القول لا تفلت من حدود النظرية الواحدة الشاملة. من تلك المقولات الفرعية ان النظام السياسي والفكري والروحي والفني والخلقي فى كل مجتمع هو انعكاس لاسلوب انتاج الحياة المادية . يسمون الاول البناء الفوقى يسمون الثاني البناء التحتي . الاول قائم على الثاني فهو تابع له، يقوم ما قام ويتغير ما تغير وينهار ما انهار . ان سلمنا بهذا كان هذا منا تسليما بالمادية الجدلية كمنهج . ان سلمنا بالمادية الجدلية كمنهج كان هذا منا تسليما بالمادية كفلسفة. التلفيق او الانتقاء لا يجدي شيئا .

تلك هي النظرية الماركسية.

وجاء التطبيق منذ سنة ١٩١٧ والماركسيون يحاولون صياغة الحياة في مجتمعاتهم على هدى نظريتهم . لم تصدق النظرية في الممارسة . انشقوا احزابا . حزب يدين اصحاب الممارسة ويتمسك بالنظرية. حزب يطور النظرية لتلتقى بالممارسة. حزب يلفق بين الممارسة والنظرية . حزب يسقط

الفلسفة ويبقى على المنهج . حزب يسقط الفلسفة والمنهج ويبقى على المادية التاريخية. واصبحت الماركسية مدارس شتى .

الفكر القومي التقدمي بدأ بداية مختلفة . كانت الممارسة هي الاصل . جرب واخطأ وصحح اخطاءه ثم عاد فاخطأ وصحح .. من خلال الممارسة وعلى مدارها الزماني كان ينضج رويدا رويدا . تعلم من الممارسة القيمة الكبرى للانسان . منحه الاولوية فأرسى اولى دعائم نظريته . الفلسفة الانسانية. المنهج الانساني . التاريخ كان من صنع الانسان . المستقبل للانسان . من الماضي، إلى المستقبل يقود في الانسان مسيرة التطور . تحددت أغلب معالم النظرية . اصبح للفكر القومي التقدمي نظرية. ان لم تكن مصوغة في كتاب واحد فهي متناثرة في كتب ووثائق عدة . تتجه من التناثر الى التجمع . من التجزؤ الى الوحدة . من السيولة الى التبلور. من النشوء الى النضج .
نظرية تتبلور مصادر شتى .
ونظرية مبلورة تتفسخ مذاهب شتى .
نظرية تولد من رحم الممارسة.
ونظرية تموت من معاناة الممارسة .

وفي الوطن العربي تقف النظريتان وجها لوجه . وتدور بين القوميين والتقدميين والماركسيين معركة فكرية دخلتها " الشورى " منذ البداية . النصر معقود لنظريتنا . هذا لا شك فيه . يعرفه الماركسيون انفسهم . اذ من بين ما يعرفون ان المستقبل للجديد الذي يحمل في ذاته كل ايجابيات ما مضى . وينفض عنه كل ما استحق الموت . الا ان النصر ليس سهلا. فليست الماركسية نظرية هينة . هي بعد ما تزال قادرة على الدفاع . وليس الماركسيون هينين . هم اكثر من القوميين التقدميين دراية بفنون النضال الفكري . ينبغي على الشباب العربي الذي يدخل المعركة حديثا ان ينتبه.

اقول بعد ان شبت في خضم المعركة . انتبهوا الى امرين وانتم تلتحمون بالماركسيين في معركتكم الفكرية.

الامر الاول :

ان الماركسيين يتراجعون عن نظريتهم وهم يراجعونها على ضوء ما تسفر عنه الممارسة . لا تهاجموا التراجع او المراجعة. ساعدوهم . شجعوهم . ان مصلحة الفكر القومي التقدمي متحققة لو كسب من كانوا يوما ماركسيين . لن يكسبهم الا أن اكملوا مراجعة نظريتهم فأكملوا تراجعهم . ليس لنا مصلحة في ادانة اقترابهم منا . ادانة المراجعة والتراجع تحملهم على التوقف او النكوص دفاعا عن ذات المواقف التي نريد لهم ان يتراجعوا عنها . ليحتفظوا بالعناوين الماركسية كما يريدون. يكفينا مرحليا ان يتبنوا افكارنا ولو تحت عناوينهم . غدا ستسقط العناوين ايضا . نكون قد انتصرنا. يكونون هم قد اهتدوا ولا نقول انهزموا . لا نريد لهم الهزيمة بل نريد لهم ان يصبحوا قوميين تقدميين . الغاية النهائية لنضالنا الفكري - ان يلتقي الشباب العربي على نظريتنا لنكون اقدر على تحويلها الى واقع حي . ليس من غاياتنا ، الاستعلاء على الماركسيين او التشهير بهم او صدهم عنا وعن افكارنا . كلما اقروا بالخطأ نحمد الله ونطوي صفحة لنبدأ معهم صفحة جديدة . أما المعارك العنترية التي لا نريد من ورائها الا الانتصار عليهم في مظاهرة فكرية فهي معارك طفولية ترضى غرورنا ولا تتقدم بنا خطوة نحو غايتنا.

الامر الثاني :

الا نحمل عناوينهم على افكارنا. الا نصوغ افكارنا بكلماتهم . قد نعنى بها غيرما يعنونه . لكننا نخسرمعركة فكرية كلما قدمنا فكرنا القومي التقدمي الى من يقرأونه أو يستمعون اليه مغلفا بأردية ماركسية. سنأخذ على واحدة من ثلاث . اما اننا ماركسيون- كما يبدو من اسلوب التعبير . - غير واعين الماركسية- كما يبدو من المضمون ، واما اننا قوميون تقدميون - كما يبدو من المضمون- عاجزون عن التعبير- كما يبدو من اسلوب التعبير . واما اننا ملفقون وهذه هي ثالثة الاثافي . وثالثة الاثافي هي قطعه الحجر الثالثة تضاف اليها قطعتان لتوقد بينها النار وهي تحمل الوعاء. قد تحمل بدل الوعاء سفوداً . كأننا لو قدمنا فكرنا القومي التقدمي مغلفا بأردية الماركسية غير واعين او عاجزين او ملفقين شوانا القراء او سلقونا في اناء من النقد قائم على ثلاث اثفيات. وفي كل الحالات يشكون في صحة الفكر القومي التقدمي ما دام اصحابه يعبرون عنه تعبير غير الواثقين بافكارهم مضمونا وتعبيرا.

اقول قولي هذا تعليقا على فقرة جاءت في مقال محمد عبد الشفيع عن " الثورة العربية ومعطيات التخلف الاقتصادي " . المقال جيد. اكثر من جيد في الواقع برغم ما فيه من تكرار وعودة في نهايته الى مقدمته بحجة انه يكتب الخلاصة. ينبىء محمد عبد الشفيع بان يكون واحدا من الكتاب القوميين الذين يحسنون الحديث عن قضايا امتهم . لكنه نسي انه بمقاله يدخل معركة فقال :

(.. وبعبارة اخرى ان إقامة البنيان الاقتصادي الجديد تنمية عربية متكاملة رهن باقامة علاقات اقتصادية جديدة ، علاقات انتاج وتوزيع وتبادل..

ثم اضاف :

" ان تشييد العلاقات الاقتصادية الجديدة لا بد له ان يتم من خلال بناء علوي جديد- سياسات واجراءات واشكال تنظيمية- تعكس تلك العلاقات الجديدة وتطورها في نفس الوقت : فما مضمون هذا البناء العلوي الجديد ؟

"ان هذا المضمون يتحدد في وجود هيئة أو سلطة عليا لها حق التقرير (السياسي) والتشريع (القانوني) والتوجيه المركزي (التنفيذي) للاجزاء العربية، والتي تكون بهذه ا لمقومات (وحدة سياسية واحدة) وان كانت اقامة هذه الوحدة السياسية الجديدة ليست مهمة من مهام البناء العلوي التلقائية وانما هي على العكس الشرط المسبق لصياغة مجمل البناء الموضوعي التحتي والفوقي كله... "

لنحلل ما قال لنعرف ماذا اراد ان يقول حتى نكتشف كيف ربك فكرته فارتبك هو واربكنا معه لمجرد حرصه غير المبرر على استعمال كلمات " البناء العلوي والبناء التحتي " هو يقول ان تشييد العلاقات الاقتصادية الجديدة لا بد له من ان يتم من خلال بناء علوي جديد . وان هذا البناء العلوي الجديد الذي يتم من خلاله بناء العلاقات الاقتصادية الجديدة هو " وحدة سياسية واحدة " (دولة الوحدة).. التي هي شرط مسبق لصياغة مجمل البناء الموضوعي التحتي.. كل هذا يتفق مع معطيات الفكر القومي التقدمي الذي يرى ان قيام دولة الوحدة هو المدخل الصحيح لاعادة صياغة العلاقات الاقتصادية في الوطن العربي على اساس ان دولة الوحدة هي اداة الصياغة وشرطها المسبق . لكن هذا لا يتفق مع اعتبار الدولة بناء فوقيا قائما على اساس العلاقات الاقتصادية التي تمثل- ماركسيا- البناء التحتي ، والاساسي ، والشرط المسبق لاي بناء فوقي . ان ما يريد أن يقوله وهو يستعير من الماركسيين تعبيرين شهيرين لا يتفق مع دلالة هذين التعبيرين بل هو عكس دلالتهما. ودلالتهما غير قابلة للتغير او الانتقاء لانها مستمدة من مقولة اكثر عمقاً هي ان اسلوب انتاج الحياة المادية يحدد حتما البناء السياسي والفكري .. الخ . وقد عبر الكاتب نفسه عن التناقض بين ما يريد ان يقول وبين ما تعنيه الكلمات التي استعارها بأن ناقض فكرته ببعض صياغتها.

فالقول بأن تشييد العلاقات الاقتصادية الجديدة لا بد له ان يتم من خلال بناء علوي جديد، يعني اسبقية البناء العلوى بحيث " تعكسه " العلاقات الاقتصادية الجديدة (التحتية) اذ هو الذي حدد مسبقا مضمونها . لكنه اضاف الى ذلك البناء العلوي الجديد سياسات واجراءات واشكال تنظيمية تعكس العلاقات الاقتصادية الجديدة. وهو قول ينقض آخره واوله . ثم اراد في النهاية ان يلقي عن كاهله عبء التناقض بين المضمون والصياغة المستعارة فقال ان البناء العلوي شرط مسبق لصياغة مجمل البناء الموضوعي التحتي والفوقي كله.. هكذا الغى كل دلالة للتفرقة بين ما يسمى البناء العلوي والبناء التحتي .. اعني دلالة ماركسية بأن جمعهما معا كموضوعين لارادة فاعلة خارجهما فعاد الى منابع الفكر القومي والتقدمي الذي يعترف بقيادة الانسان . لماذا كل هذا؟.

ليست المشكلة كامنة في دلالة الالفاظ . قد تمر الالفاظ تحت نظر القارىء فلا يفطن الى ما تنقضي به المضمون . المشكلة ان محمد عبد الشفيع كما يبدو من مقاله، ليس في حاجة الى استعارة الكلمات من التراث الماركسي . الاستعارة اذن متعمدة . فيثور سؤال : هل هو ماركسي يستعير افكارا قومية، ام هو قومي يستعير افكارا ماركسية ، ام هو ناشيء يلفق بين الفكر الماركسي والفكر القومي في بناء مضطرب؟..

ان كان قوميا- كما يبدو من مضمون فكرته- فعليه ان يصوغ افكاره على الوجه الذي لا يسمح بالشك في موقفه. وان لم يجد فعليه ان ينحت من لغته العربية ما يريد من صيغ لا تختلط بالصيغ التي يستعملها الطرف الاخر في المعركة الفكرية القائمة بين القوميين التقدميين والماركسيين وهو يعني بها غير ما يعنون .

تلك خبرة رجل شاب في المعركة يقدمها الى الجيل الجديد من القوميين التقدميين عسى ان يحققوا النصر الحاسم الذي يستحقه فكرهم القومي التقدمي .

هفوة استاذ:

لكل عالم هفوة ولكل جواد كبوة . دعوة عربية الى التسامح . التسامح لا ينفي العتب . نعتب ونتسامح فنبقى على المودة . هفوة العدد الرابع من الشورى جاءت من استاذ ناضج . ما دام ناضجا فلا مكان له على السفود . نحن اذن نعاتبه . صاحبنا الدكتور عودة بطرس عودة كتب مقالا عن "مفهوم المسئوولية القومية تجاه القضية الفلسطينية مرحليا " . مقال ناضج بقلم استاذ ناضج . مع ذلك ففي المقال هفوة . هفوة خطيرة . نأخذها منطلقا للحديث الى الجيل الجديد من الشباب العربي حديثا يتضمن على هامشه عتبا موجها الى صاحب المقال .

قال الدكتور عودة :

".. ما يستحق الوقفة والتأمل هو ان هذا التلاقي بين دولتي القمة الدولية لم يحقق حتى الان الهدف الذي تسعيان اليه رغم اختلاف دوافعهما الاستراتيجية وهو : تثبيت وجود اسرائيل لتصبح وجودا قانونيا .

" انهما تعرفان حق المعرفة انه لا يمكن بلوغ هذا الهدف الا اذا تحقق احد شرطين لا ثالث لهما :

" الشرط الاول : اما ان ينتهي الشعب العربي الفلسطيني وتستدرج الانظمة العربية الى الصلح مع اسرائيل . وقد فشلت جميع المؤامرات والمخططات التي تزعمتها الولايات المتحدة الامريكية لتحقيق

ذلك بفضل صلابة ارادة الشعب العربي الفلسطيني والمسئولية القومية التي تحملتها الثورة العربية بقيادة القائد المعلم جمال عبد الناصر تجاه القضية الفلسطينية.

" الشرط الثاني : واما ان يستدرج الشعب العربي الفلسطيني بالاغراء أو بأي شكل من الاشكال للمشاركة في ما يسمى بالتسوية السلمية لازمة الشرق الاوسط . وهذا ما تحاوله الان القمة الدولية".
اذن، فان الدكتور عودة ينقل الى قراء الشورى مقولة محددة ، ان وجود اسرائيل يصبح قانونيا اذا اعترفت بها النظم العربية او اعترف بها الشعب العربي الفلسطيني .

ضد هذا القول بالذات يقف الفكر القومي التقدمي بحزم وحسم ليقول : لا . ان وجود اسرائيل لن يصبح قانونيا ولو اعترفت بها النظم العربية . لن يصبح قانونيا ولو اعترف بها الشعب العربي الفلسطيني . لن يصبح قانونيا ولو اعترفت بها النظم العربية والشعب العربي الفلسطيني معا . الفكر القومي التقدمي لا يعلق قانونية وجود اسرائيل وعدم قانونيته على مواقف ارادية سواء كانت ارادة قيادات او ارادة نظم او ارادة شعوب . لماذا؟ . الاجابة خلال البناء المتراكب للفكر القومي التقدمي الذي يساند بعضه بعضا فتكون منه وحدة نظرية غير قابلة للاخلال .

قال محمد السخاوي في مقاله الجيد المنشور في العدد الرابع ذاته تحت عنوان : " مسئوليتنا القومية والتوازن الدولي " :

" .. ان الارض العربية- المفهوم المادي للوطن العربي- هي ملكية تاريخية خاصة بالشعب العربي ومشتركة فيما بينه وبالتالي فهي ملكية تاريخية مشتركة لكل الاجيال العربية السابقة واللاحقة والحالية. فلا احد يملك الحق في التنازل عن اي جزء من الوطن العربي لانه ليس حقا خالصا له وانما هو- اي الوطن- حق تاريخي مشترك لكل العرب . كما ان الشعب العربي الآن (الذي) يتمثل في الجيل الراهن لا يملك الحق في التنازل عن اي جزء من وطنه لشعب اخر او امة اخرى لان الوطن العربي ليس ملكا خالصا للجيل العربي الراهن وانما هو ملكية تاريخية مشتركة لكل الاجيال العربية اللاحقة . كما انه لا يستطيع اي جزء من الشعب العربي - حتى ولو كان الشعب العربي في فلسطين- ان يتنازل عن فلسطين - حتى ولو جزء من فلسطين - لقوى الاستعمار والصهيونية- لان فلسطين ليست ملكا خالصا للفلسطينيين وانما هي ملك للشعب العربي ولكل الاجيال العربية.. " .

هذه خلاصة الموقف القومي الصحيح من مشكلة الاعتراف وعدم الاعتراف بالوجود الاسرائيلي . ان الفكر القومي التقدمي يرفض - على ذات الاساس العقائدي - شرعية الدول العربية ذاتها من حيث هي تجسيد سياسي للتجزئة، فهل يمكن للفكر القومي التقدمي ان يعلق شرعية ا لوجود الاسرائيلي على ارادة النظم او ارادة المنظمات ؟ لا. للاقليمية منطق اخر . كل شعب عربي يملك وطنه. الشعب الفلسطيني يملك أرض فلسطين. فكما يستطيع نظام عربي ان يعترف باسرائيل . قد " يستدرج " الشعب الفلسطيني فيعترف بها... فيكون وجود اسرائيل قد اصبح قانونيا . اذا سلمنا بهذا المنطق فقد فتحنا لاعداء امتنا الطريق الذي يقطع المسيرة القومية . الحصول على الاعتراف بالوجود الاسرائيلي دفعة واحدة أو على دفعات، صراحة او ضمنا، من نظام عربي اثر نظام ، قهرا أو تآمرا أو استدراجا الى ان تضيق الارض بالشعب العربي في فلسطين فيعترف هو الاخر... وتنتهي المشكلة فيما يظنون .

هذا ما يحاولونه.

هذا ما يفزع الدكتور عودة فيصرخ في مقاله محذرا النظم والمنظمات . من حقه ان يفزع . من حقه ان يصرخ محذرا لكن ليس من منطلق " المسئولية القومية " التي اختارها عنوانا لمقاله . من منطلق المسئولية القومية نكمل ما قاله محمد السخاوي فنقول :

أيها السادة اصحاب النظم والمنظمات .

ان اعتراف العالم كله باسرائيل لم يضف على وجودها اية شرعية. والا لما قاتلت اولا لترغمكم على الاعتراف بها . والا لما قبلت مفاوضتكم اخيرا لتستدرجكم الى الاعتراف بها . الاعتراف ايها السادة لا يلزم الا من صدر منه . راجعوا قواعد القانون الدولي . عندما تعترفون بإسرائيل لا تمنحونها شرعية الوجود فهذا لا تملكونه. انتم تلزمون نظمكم ومنظماتكم التصالح والتعامل مع اسرائيل، لا اكثر من هذا . فلا تفعلون الا الخروج على الثورة العربية والوقوف مع اعداء امتكم. تعزلون انفسكم . تلوثون تاريخكم . ثم يبقى الوجود الاسرائيلي غير مشروع تعصف به الثورة العربية عاجلا او آجلا لا تلزمها حجة مما فعلتم . وعندما تتحرر فلسطين وتزول دولة اسرائيل يزول معها كل اعتراف سابق ، سواء كان صادرا منكم او كان صادرا من دول اخرى . انكم اذن تدفعون ثمنا فادحا في مقابل بضاعه فاسدة .. وان كان القوميون يحذرونكم الان فليس مرجع هذا الى اعترافهم بنفاذ ارادتكم في الاعتراف باسرائيل بل ليجنبوكم هاوية تاريخية اولا، ثم ليوفروا على الثورة العربية بعض الجهود التي تحملونها اياه باعترافكم . اذ، لا يخفى عليكم- رجاء- انه عندما تقتحم الثورة العربيه ساحة المعركة ممثلة للشعب العربي كله ستعصف بالمعترفين و المعترف بهم جميعا.. وفاء منها " بالمسؤولية القومية " .

ويا اخ عودة . ان ما يفزعك الان وتحذر منه الثورة " الفلسطينية " ليس الا المحصلة النهائية لاقليمية الثورة ذاتها او قبولها الاقليمية . منذ ان قيل ان مسئولية تحرير فلسطين تقع على عاتق شعب فلسطين ومنذ ان قبلت الثورة ، تلك المسئولية الاقليمية عزلوها او عزلت نفسها عن نطاق "المسئولية القومية " وقبلت ان تكون منظمة فلسطينية حتى تصلح لتكون نظاما فلسطينيا. فلا تداوي الثورة بما كان داءها . ان الثورة تحتاج الى ثورة لتصحح هويتها فحرض المؤمنين على القتال .

انذار :

الى الاخ صاحب الصور المطبوعة على غلاف الشورى ، يا اخانا. ارجو الا تظن انك حر في ان تضع على غلاف الشورى ما تشاء من خطوط والوان . ان كنت حرا في أن تخطط وتلون ما تشاء فالقراء احرار في ان يحفظوا ابصارهم بعيدا عما يخدش الحس بالجمال . ما الذي تريده منا ؟.. الا نشتري الشورى؟... ام ننزع غلافها حتى لا نضطر الى النظر الى ما ترسم . لا تحتج بحرية الخلق الفني وذاتية الفنان الخلاق . اننا نعرف من كل هذا ما يكفي لنقول لك ان الفن- قبل كل شيء- خلق جمالي . وان له مقاييس موضوعية لا تهدر باسم الذاتية لانها ذات القواعد العلمية للتعبير عن الذات. وانما لنراك فيما ترسم " متساهلا " كانك تظن انك حر في ان تضع على غلاف الشورى ما تشاء من خطوط والوان . فأما ان تجد فتجتهد فتجيد واما ان نقترح على مجلة الشورى ان تغير جلدها ...

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
القاهرة ٢٧ تموز (يوليو) ١٩٧٤

التعب الموهوم

جاءني العدد الخامس من " الشورى " في اليوم العاشر من اب (اغسطس) . في آب احاول- كما يفعل كثير من الناس- ان ارتاح . شهر آب هو شهر الراحة . منذ ان عرفنا ان للراحة شهرا- او شهرين حسب المقدرة المالية- ونحن نهيء انفسنا للراحة في آب . كنت اشعر شعورا حادا بالحاجة الى الراحة. ثم جاءت " الشورى " . نقد "الشورى " غير مريح . هل اعتذر؟ نقرأ اولا في الشورى ثم نعتذر . قرأت

قراءة التعب (بفتح التاء وكسر العين). التعب (بفتح التاء والعين) يشتت الانتباه ويضعف المقدرة على التركيز. عندما نتعب نطلب الراحة. هكذا يقولون . هو قول غير صحيح .

السؤال هو: هل نطلب الراحة لاننا تعبنا او نطلب راحة حتى لا نتعب؟

نطلب راحة حتى لا نتعب؟

ما نسمية التعب هو احساس ينبه الى ان الجسم على وشك الانهاك . نطلب الراحة حتى لا نصل الى حد الانهاك . الانهاك هو التعب الموضوعي . عجز الجسم بيولوجيا عن الاستمرار في الجهد . نبذل جهدا. نحرق خلايا لنمد الجسم بالطاقة اللازمة للفعل . نعوض الخلايا اولا بأول . نفرز حامض اللبنيك . يضعف رويدا رويدا معدل التعويض . نقترب من حد الانهاك . يصدر العضو المجهد رسالل كهربية الى المخ منبها الى انه على وشك التوقف عجزا . تصل الرسائل الى الفحص الجبهي (جهاز الفعل الارادي) . يصدر امرا بالكف عن العمل حتى لا نتعب . حتى لا نصل الى حد الانهاك والعجز . الى هنا يكون التعب حقا ويكون طلب الراحة صدقا . في الحق لا يجدي التحايل. لا بد من الراحة .

النفس الانسانية اكثر تعقيدا من هذا بكثير.

هناك تعب موهوم . نشعر بالتعب لاننا- على وجه- نريد ان نتعب . وليس لاننا قد بذلنا جهدا متعبا. لم يكن هذا معروفا. عرف بعد ان اخترع الايطالي موسو جهازا لقياس التعب . اسم الجهاز " ارجوجراف ". تبين من التجريب المعملي للتعب وقياسه ان الظواهر البيولوجية التي تولد الاحساس بالتعب يمكن توليدها هي باصطناع الأحساس بالتعب . عندما تقتنع بأننا على وشك الانهاك ، نحس بالتعب ويبدأ الجسم في تعويض جهد لم يبذل اصلا . يأتي الاقتناع بتقدير الجهد المطلوب فيكيف الجسم ذاته على بذل طاقة مقدرة سلفا لعمل معين . اذا انتهت الطاقة المقدرة ولم يتم انجاز العمل يحس الانسان بهبوط حاد في المقدرة على الإستمرار. يحس بالتعب . بيولوجيا يكون قادرا على الاستمرار . نفسيا يكون قد اوشك على الانهاك . هذا تعب موهوم . نعرفه عندما نتعرض لمنبه جديد فنكتشف اننا ما زلنا قادرين على العمل .

منذ بدء العام نعد انفسنا للراحة في آب . قبل ان نبدأ العمل نجهز المكان والمقر للراحة. طوال العام ونحن نترقب آب لنرتاح ترقبا مقطوع الصلة بما نبذل من جهد. طوال العام ونحن نحشد طاقاتنا حشدا مقدرا بنهاية تموز (يوليو) . عندما يوشك تموز ان ينتهي نكون في حاجة الى الراحة . لا لاننا قد بذلنا جهدا يوشك ان ينهكنا ، ولكن لأن آب قد اوشك ان يبدأ. وآب شهر الراحة.

في مثل هذه الحالة جاءني العدد الخامس من " الشورى "، فقرأته قراءة التعب اقرأه ثم اعتذر. اكتشفت انه تعب موهوم . تعب آب . ما ان قرأته حتى عاد شتات الانتباه الى وحدته . تبينت انني لم اكن ابداً في حاجة الى الراحة. الواقع انني لم ابذل طوال العام جهدا يستحق أن اعوضه. بلغت مقدرتي على بذل الجهد حداً يسر لي ان اعود الى قراءة كتاب " الاقليمية الجديدة " الذي عرضته الشورى في عددها الخامس . كنت قد قرأته حين صدر اول مرة . قرأت العرض فأدركت ان الذي عرضه يحتاج الى الراحة . ظلم الكتاب ومؤلفه وظلم قراء " الشورى " عندما اخل اخلالا شديدا بمضمون واحد من الكتب الجيدة لواحد من المجتهدين في الفكر القومي التقدمي . الى هذا الحد اعادت الي " الشورى " انتباهي المشتت ومقدرتي الضائعة على التركيز.

كتاب مظلوم :

الاخ عبد الله محمد الريماوي واحد من كبار الذين ثابروا على الاجتهاد في الفكر القومي التقدمي. منذ عام ١٩٥٩ لم يكف عن الكتابة . اول ما كتب لم ينشر . كان عن ازمة حزب البعث الذي كان الريماوي واحداً من قادته. كتب بعد هذا كتبا عدة حاول فيها ارساء قاعدة نظرية للثورة العربية. آخرها كان " البيان القومي الثوري " (من جزئين)، كان ذلك قبل هزيمة ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧. يسميها الريماوي بنكسة الانحدار. اثرت النكسة تأثيرا قويا في عبد الله محمد الريماوي على المستويين النفسي والفكري ، كان شأنه في هذا شأن كثير من القوميين المخلصين لتجربة الثورة قبل ١٩٦٧. رد الريماوي على " نكسة الانحدار " بكتابه " الاقليمية الجديدة ". يستحق هذا الكتاب ان يقرأ لثلاثة اسباب " من اجلها نحرض الشباب القومي على قراءته.

السبب الاول : انه حلقة من سلسلة من الكتب التي كتبها عبد الله محمد الريماوي . وعبد الله محمد الريماوي يحاول في كتبه ان يقدم جوابا على السؤال الذي ما يزال يشغل الشباب القومي : ما هي نظرة الثورة العربية . من هنا كان واجبا على كل شاب قومي يبحث جادا عن الجواب ان يقرأ كل ما كتب عبد الله محمد الريماوي بما فيها كتاب " الاقليمية الجديدة " .

السبب الثاني : ان كتاب " الاقليمية الجديدة؟ يتضمن تطورا او تطويرا لفكر الريماوي على ضوء هزيمة ١٩٦٧ . من هنا يعتبر نموذجا صالحا لمعرفة اثر تلك الهزيمة على تطور او تطوير الفكر القومي التقدمي عامة او في واحد من اتجاهاته على الاقل .

السبب الثالث: ان كتاب " الاقليمية الجديدة " . وثيقة اتهام ضد المسئولين عن " نكسة الانحدار". نقصد وثيقة فكرية ونضالية معا. عبد الله محمد الريماوي ليس مفكراً مجتهداً فقط بل هو أيضاً مناضل ساهم ايجابيا فى المعارك القومية وانحاز الى قيادة عبد الناصر سنة ١٩٥٦ فأدان حزب البعث العربي الاشتراكي واسس " حزب البعث العربي الاشتراكي الثوري " الذي لم تطل حياته حتى يختبر نضاليا . من هنا فان الكتاب اتهام من داخل القوى القومية التقدمية او " نقد ذاتي " وليس اتهاما من خارجها. ويهم الشباب القومي ان يقرأوا نقدا ذاتيا لا شبهة في اخلاصه لغاياتهم الاستراتيجية.

وبعد،

فالكتاب من ٢١٣ صفحة . منها ١٣٨ صفحة مخصصة لدراسة " الاقليمية " قبل الدخول في موضوع الكتاب " الاقليمية الجديدة " . يقول الريماوي في صفحة ١٤٠ " ان الأبواب السابقة من هذا الكتاب كانت مقدمة ضرورية حددنا فيها ظاهرة الاقليمية العامة تحديدا واقعيا وتاريخيا واضحا، فحددنا مصالحها وقواها وتابعنا تاريخ نشوئها ونموها تمهيدا لبيان نشوء الاقليمية وتطورها وملامحها ومن ثم لتقييمها " .

فماذا فعلت " الشورى " فيما عرضت؟

لخصت هذا الجزء العام الذي لا يعدو ان يكون مقدمة لموضوع الكتاب . لم تعرض " الشورى " اذن على قرائها شيئا عن الاقليمية الجديدة ، كما طرحها المؤلف في كتابه ، هذا ظلم بين للكتاب والمؤلف والقراء . اقتصر العرض على مقدمته. حرم المؤلف من حق طرح افكاره كاملة . حرم القراء من معرفة ما هي الاقليمية الجديدة كيف نشأت وكيف تطورت وموقفها من قوى الثورة العربية، ومسئوليتها عن " نكسة الانحدار " وما تحمله من مخاطر على مستقبل النضال القومي. يكفي ان نشير الى ان عبد الله محمد الريماوي بعد ان حدد الاقليمية القديمة (المرتبطة بالاستعمار) والاقليمية الشيوعية، والاقليمية البترولية، كقوى اقليمية تقليدية قال ان " الاقليمية الجديدة ، اشد خطرا على مستقبل الأمة العربية من الاقليمية القديمة والاقليمية الشيوعية والاقليمية البترولية .

قال في صفحة ١٤٦:

" ولقد ترتب على ما تقدم ان اصبحت قوى الاقليمية التقليدية على مختلف صورها وشعاراتها قوى عارية" مفضوحة امام الجماهير العربية ، غير قادرة على تضليلها او ارباكها حتى لو كانت قادرة- مؤقتا- على قهرها. واصبحت العلاقة بين القضية العربية وقواها الثورية من جهة وبين الاقليمية التقليدية وقواها الرجعية من جهة اخرى علاقة العداء الصريح والصراع السافر.

" وهكذا فقد اصبح خطر الاقليمية التقليدية وقواها المذكورة على القضية العربية هو خطر الاعداء الواضحين الخارجين عن صفوف قوى هذه القضية المعزولين عنها كذلك.

" ولكن الامر يختلف- اختلافا كبيرا- بصدد الاقليمية الجديدة وقواها . وذلك لانها تدعي العمل للقضية العربية وتدعي تجسيم الثورة والثورة العربية كمنهاج لهذا العمل ، بينما هي في الواقع ليست كذلك . ولانها تحاول ان تقف أمام الجماهير العربية في موقع الثورة العربية بينما هي في موقع ادعيائها حيث تتمتع بقدرة على تضليل هذه الجماهير وارباكها وتمزيقها.

لست اريد ان اقول من هم الذين كان يعنيهم عبد الله محمد الريماوي عندما كتب ما كتب في شباط (فبراير) ١٩٧٠، لان غاية عرض اي كتاب- يا ايتها الشورى - تحريض القارىء على قراءته باثارة اعجابه او فضوله، وليس- كما فعلت الشورى- احباط رغبته في ان يقرأ. لمجرد اثارة الفضول، تحريضا على قراءة كتاب " الاقليمية الجديدة " اقول ان الذين يعنيهم عبد الله محمد الريماوي بالاقليمية الجديدة هم اولئك الذين كانوا سنة ١٩٦٧ في مراكز القيادة من القوى التي نسميها " القوى العربية التقدمية " .. لقد حاول ان يثبت انهم قد تحولوا الى صفوف الثورة المضادة بصرف النظر عن نواياهم . ايها الشباب القومي،

لا تتكلوا على ما عرضت " الشورى " في عددها الخامس واقرأوا كتاب " الاقليمية الجديدة " لتغنوا معرفتكم باثر هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧ في الفكر القومي . ويا ايتها " الشورى " حرضي الناس على قراءة الكتب ولا تصديها عن المعرفة بالعرض المخل .

عقدة المشكلة:

كان ادراك الظلم الذي وقع على واحد من المفكرين القوميين واحداً من أسباب التحرر من وهم التعب واكتشاف المقدرة على النشاط . السبب الثاني كان موضوعا لو تحاور فيه اثنان فوق قبري لشاركت عظامي في الحوار. انه موضوع التنظيم القومي . اقترح على " الشورى " ان تخصص قسما ثابتا من كل عدد لنشر الدراسات والاراء وادارة الحوار حول موضوع التنظيم القومي .

" التنظيم والنظرية والنضال الثوري " كان عنوان مقال الاخ اياد سعيد ثابت. هل يعرف كل القراء الاخ اياد سعيد ثابت؟

اقترح على " الشورى " ان تتولى تعريف القراء بالمناضلين القوميين . معرفة الناس لبعضهم بعضا أول شرط التقائهم . التقاؤهم اول شروط التحامهم . عندما يلتحمون يولد التنظيم . عقدة مشكلة التنظيم القومي ان المناضلين غير قادرين على الالتحام . الاخ اياد يعرف ان هذى هي العقدة. مقاله جيد ورصين . قرأته مرتين . المرة الاولى لاحيط بفكرته . المرة الثانية لافتش فيه عن حل عقدة المشكلة.

قال الاخ اياد محللا للعقدة :

" ان ليبيا مدعوة اليوم كي تمارس مسؤولياتهما في :
١- العمل على توحيد التيار الناصري .
٣- التحام الثوار في ليبيا مع الثوار العرب لخلق اداة الثورة العربية الاشتراكية. ولكن يا اخ اياد من هم الثوار العرب؟

اجاب مقدما : " ان هذه الساحة قد قدمت لنا الجزء الاكبر من الجواب على السؤال الحيوي المطروح من هو الانسان الثوري؟... فقد استطاعت هذه الساحة ان تحقق فرزا نوعيا لا يستهان به. انها قدمت الينا حصيلة لا بأس بها من الثوار العرب ممن توفرت فيهم - على الاقل- الحدود الدنيا لشروط الثورة. ان التحام هؤلاء الثوار سيحقق النواة المطلوبة ".

لا شك في هذا يا اخ اياد. لا شك ان الانسان الثوري ليس قليلاً في الارض العربية . لكن من الذي يفرزه؟ يعينه؟ يختاره ؟ يحكم بأنه هو الانسان الثوري وليس الآخر ؟ هذه هي العقدة في المشكلة . هذه هي الثغرة في مقالك القيم . ننتظر منك جوابا على هذا السؤال . ارجو الا يكون الجواب دعوة ليبيا الدولة او الثورة الى الانتقاء والاختيار. لقد انتقلت واختارت من قبل وكان مؤتمر القوى الوحدوية الناصرية الذي لم تبق منه الا ذكريات الفشل . لا تحمل ليبيا الثورة فوق طاقتها . رجاء.

حديث الجبهة :

عبد الناصر يقود الجماهير العربية على امتداد الوطن العربي في معارك التحرر القومي . التنظيم القومي غائب. عبد الناصر يدعو الى الحركة العربية الواحدة . هذا من ناحية. من ناحية اخرى معارك التحرر تقتضي ان توحد القوى المختلفة اصلا قواها ضد العدو المشترك . تلك هي الجبهة. التقاء مرحلي مؤقت لتحقيق غاية مشتركة ثم تنفض الجبهة وتعود القوى المختلفة اصلا الى الصراع حول القضايا المؤجلة. لو كانت الحركة العربية الواحدة قائمة تحت قيادة عبد الناصر لدخل عبد الناصر بها في جبهة مع كل القوى ذات المصلحة في التحرر . لكنها غائبة . معارك التحرر لا تنتظر. لا بد من الجبهة بين القوى المتاحة . القوى المتاحة قوى اقليمية . فلتلتق في جبهة من اجل التحرر. الى ان تقوم الحركة العربية الواحدة .

في اطار هذا الواقع دعا جمال عبد الناصر الى ان توحد القوى التقدمية في كل دولة عربية جهودها في جبهة وطنية. كانت تلك دعوة صحيحة واقعيا وعلميا في إطار ظروفها الموضوعة .

لماذا ؟

قال الاخ صفوان قدسي في مقالة : " عبد الناصر والحركة العربية الواحدة " : " ان الجبهة الوطنية التقدمية في ظروف معينة هي الصيغة العملية لتحقيق الوحدة الوطنية. والوحدة الوطنية المطلوبة ليست سوى التجسيد العملي للفكرة القائلة انه في مراحل معينة من التطور التاريخي لا تستطيع فئة بعينها ان تنفرد بقيادة العمل السياسي والوطني ، وانه يتوجب على كل القوى الوطنية التقدمية ان تشارك في قيادة العمل السياسي والوطني ، وأن يكون لها دورها الفعال والمؤثر فى صنع القرارات التي يترتب عليها مستقبل الوطن ومصيره " .

لماذا؟

قال فى موضوع آخر وتأكيدا لفكرته : " .. انه في مواجهة عدو يحاول بالقوة المسلحة ان يضع يده على اجزاء عزيزة وغالية من ترابنا الوطني يلزم الا يكون هناك أي تفريط بأية طاقة متاحة دون الاستفادة منها في تعزيز قدرات الوطن ويلزم في الوقت نفسه حشد كل الطاقات وصبها في قناة العمل الوطني..

كل هذا صحيح .

ثم بنى على هذا الاساس الصحيح بناء غيرمستقر .

بدأ فقال قولا عاما : " ان الجبهة الوطنية التقدمية ليست صيغة نهائية، وانما هي مرحلة على طريق التنظيم السياسي الواحد. والجبهة الوطنية التقدمية تحمل مخاطر الانفجار والتمزق ما لم يرافقها جهد صبور للارتقاء بهذه الجبهة الى مستوى الوحدة التنظيمية والفكرية التي يقوم عليها التنظيم السياسي الواحد " .

ثم خصص فقال " وعندما اعلن في شهر اذار عام ١٩٧٢ ميثاق الجبهة الوطنية التقدمية في القطر السوري العربي ، كان واضحا ان هذا الميثاق يشتمل على كل ما من شأنه ان ينتقل بالعمل السياسي والوطني الى مرحلة جديدة وكان واضحا ان هذا الميثاق يقدم صورة تفصيلية لطبيعة المهمة الموكولة الى الجبهة امر تحقيقها وانجازها. وكان واضحا ان هذا الميثاق يكرس الحقيقة القائلة ان الجبهة ليست صيغة نهائية للعمل السياسي، وانما هي تمثل مرحلة على طريق التنظيم السياسي الواحد الذي يشكل هو بدوره مرحلة اخرى على طريق الحركة العربية الواحدة التي تعتبر بحق الصيغة المثلى للعمل العربي القومي الموحد.. " .

هكذا اراد الاخ صفوان قدسي ان يتحدث الى القراء تحت عنوان " عبد الناصر والحركة العربية الواحدة "، حديثا استنفد نصفه في كسب تعاطف القراء عن طريق الاشادة بالقائد الخالد ليصل في النهاية الى ما كان يريده من البداية. كان يريد اقناع القراء بطريق خاص لبناء التنظيم القومي يتم على مراحل :

المرحلة الاولى : جبهة وطنية تقدمية في كل اقليم .

المرحلة الثانية: تتحول الجبهة الى تنظيم واحد في كل اقليم .

المرحلة الثالثة: تتحول التنظيمات الاقليمية الى تنظيم قومي واحد.

الاخ صفوان يعيد هنا ما بدأت به الاحزاب الماركسية منذ ١٩٦٣ ونقلته عنها بعض الاحزاب ذات الاتجاهات القومية . وقد كانت تلك دعوة مضادة- منذ بدايتها- لدعوة الحركة العربية الواحدة التي اعلنها جمال عبد الناصر سنة ١٩٦٣ ايضا . اعتقد ايضا انها ما تزال حتى الان أشد الدعوات تعويقا لبناء التنظيم القومي رغم ما قد يكون وراءها من نوايا حسنة.

لماذا؟

لان توالى المراحل التي يراهن عليها الاخ صفوان مستحيل .

١- المرحلة الاولى أي قيام جبهة وطنية تقدمية في كل اقليم قابل للتحقق في ظروفه التي ابانها باكبر قدر من الوضوح الاخ صفوان .

٢- المرحلة الثانية أي تحول الجبهة الوطنية التقدمية في كل اقليم الى تنظيم واحد مستحيل الا في حالتين . وجه الاستحالة ان الجبهة تفترض الوجود السابق لقوى منظمة مختلفة في المنطلقات او الغايات تلتقي مرحليا في مواجهة خطر مشترك لتحقيق غاية معينة. اما ان تنهزم الجبهة واما أن تنتصر . ان انهزمت فقد انتهت . ان انتصرت اصبحت كل قوة منظمة ملزمة مبدئيا وحركيا بأن تعود الى الممارسة طبقاً لمنطلقاتها الخاصة الى غاياتها المتميزة . أي تعود قوى الجبهة جميعا الى المواقع الفكرية والحركية المختلفة التي بررت نشأتها المتعددة منذ البداية . ثم يبدأ الصراع الذي تأجل الى ان يتم النصر في النضال المشترك . يستحيل اذن إن تنتهي الجبهة الى الوحدة . قلنا الا في حالتين :

الحالة الاولى : ان يستغل الطرف الاقوى في الجبهة فترة التحالف الجبهوي لتصفية الوجود التنظيمي المستقل للاطراف الاخرى بسلبها كوادرها وقواعدها اما اقناعا او بوسائل اخرى . حينئذ تسفر الجبهة عن بقاء تنظيم واحد وتصفية الاخرين . لا يقال هنا ان الجبهة هي الطريق الى الوحدة، ولكن يمكن ان يقال ان الجبهة ستار للتصفية لينفرد الاقوى بالوجود فيكون حزبا واحدا.

الحالة الثانية: ان تكون الجبهة بين حزب منظم وبين " شلل " ملتفة حول قيادات فردية لا تملك عناصر التنظيم الجماهيري . حينئذ تكون الجبهة دعوة ذكية لامتصاص تلك الشلل او من يصلح من افرادها وهضمه في جسم الحزب القائد.

ونترك للاخ صفوان ان يكتشف على ضوء هذا نوع الجبهة الوطنية التقدمية التي اعلن قيامها في القطر السوري في اذار ١٩٧٢ ومصيرها . انه ادرى منا بالواقع . نحن لا ندري الا ان حزب البعث في سورية قد شكل جبهة مع قوى ذات اسماء طبقا لميثاق اعلن ولكنه منذ ذلك التاريخ لم يعترف بشرعية تلك القوى ولم يسمح لاي منها بأن يكون لها منبر صحفي ثم زاد فاشترط لقبولها في الجبهة الا تمارس اي نشاط في قطاعات شعبية محددة . فقبلت. فان اسفرت الجبهة الوطنية التقدمية في سورية عن تنظيم واحد فانه- يقينا- سيكون هو ذاته حزب البعث بمنطلقاته وغاياته واساليبه.

٣- المرحلة الثالثة أي تحول الاحزاب او التنظيمات الاقليمية (اعني اقليمية التشكيل) الى تنظيم قومي واحد وهم مستحيل . ذلك لان تلك المنظمات الاقليمية التي قبلت اولا ان تجسد التجزئة في ذاتها لا تستطيع ان تتجاوز ذاتها. ومن حيث انها قبلت ان تكون اقليمية (اعني اقليمية التشكيل حتى لا اثير نقاشا حول الشعارات التي يمكن لاي واحد ان يرفعها) فانها قد قبلت التجزئة. فان كانت اضعف من ان تتولى السلطة في اقطارها فانها لن تستطيع حتى الحوار بعضها مع بعض عبر حواجز التجزئة. فان استطاعت ان تتحاور وتلتقي وتتعاون فانها لن تصل الا الى ان تكون جبهة من منظمات اقليمية . عندئذ يحتمي كل تنظيم باقليميته خوفا من مخاطر التصفية التي تكمن في صيغة الجبهة فتتكرس اقليميتها اكثر فأكثر . اما اذا كانت من القوة بحيث استولت على السلطة فستتحول الى دولة اقليمية " عندئذ تكون قيادتها ملتزمة بدستور دولتها . اول التزام في اي دستور هو الحفاظ على كيان الدولة... " الخ .

الجبهة أذن يا اخ صفوان صيغة مطلوبة في ظروفها التي ابنتها في مقالك باكبر قدر من الوضوح. لكنها ليست طريقا الى وحدة التنظيم في اي اقليم . لا وليست طريقا الى الحركة العربية الواحدة. وعندما تطرح كطريق الى الحركة العربية الواحدة تسد الطريق على الجهود التي تبذل من اجل قيام الحركة العربية الواحدة تنظيما قوميا يرفض منذ البداية ان يجسد التجزئة في ذاته. وعندما يقوم التنظيم القومي ممثلا لجماهير الامة العربية بصرف النظر عن انتمائها الاقليمي سيدخل في جبهة مع كل القوى التي تشاركه اهدافه المرحلية. فرجاء بارك ما شئت الجبهة الوطنية التقدمية في سوريا او في اي قطر عربي يعجبك ولكن بعيدا عن " عبد الناصر والحركة العربية الواحدة " اذ لا يخفى عليك ان عبد الناصر قد اعلن ان الحركة العربية الواحدة ضرورة تاريخية وحمل الشباب العربي مسئولية وجودها بعد فشل مشروع الوحدة الثلاثية سنة ١٩٦٣ بين مصر وسوريا والعراق . ولا يخفى عليك ان حوارا مضنيا قد

دار في القاهرة بين عبد الناصر وممثلي حزب البعث في العراق وسورية واخرين انتهى الى اعلان الوحدة الفكرية بينهم في ميثاق فكري وقعوه جميعا ، والتزامهم بتحقيق الوحدة الثلاثية طبقا لدستور وضعوه ووقعوه جميعا ومع ذلك لم تتم الوحدة..

انني احاول ان اكون هادئا فيما مسست به موضوعا لو تحاور فيه اثنان على قبري لهبت عظامي تشترك في الحوار . فاغفر لي ان كان قلمي قد افلت من محاولتي في أي موضع . وستغفر- قطعا- لو عرفت ما يمكن ان يرد به غيري على مثل ما قلت .

ان اردت ان تعرف فاقرأ كتاب " الاقليمية الجديدة " .

التعب الحق :

قلنا من قبل ان الفص الجبهي من المخ هو اداة الفعل الارادي " نقول الان انه يوجه الانفعالات ايضا عن طريق تحكمه في موضع آخر من المخ يسمى القشرة الثلموسية ، عندما يكون الفص الجبهي ذاته على وشك الانهاك لفرط ما بذل من جهد في الانتباه تفلت القشرة الثلموسية من حكمه جزئيا او كليا . هنا لا يشعر الانسان بتعب بل يشعر بانفعالات متضاربة. سأم . انقباض . قرف. او شيء من هذا القبيل . عندئذ يكون في حاجة حقيقية الى الراحة . أشعر الان بشيء كمرارة اليأس من الحديث- بعد كل تجاربنا- عن الجبهة وعلاقتها بالتنظيم القومي . لا من أثر ما نشر في الشورى فالواقع انني وجدت الحوار مع كتابها ممتعا . ولكن لاني تعب . قرأت الشورى اكثر من مرة ثم قرأت " الاقليمية الجديدة " وكتبت ما كتبت في وقت متصل .

الى اللقاء اذن بعد آب .

ولعل الاعداد التالية ان تكون في مستوى العدد الخامس .

حاشية :

يا اخ جمعة، اين باب الوثائق؟ هل انتهت وثائق الثورة العربية؟.. سيظهر هذا التعليق على العدد الخامس في العدد السابع الذي يصدر في السابع من تشرين (اكتوبر) فلتنشر الشورى في ذلك العدد جانبا مما سجلته وثائق العدو وحلفائه عن بطولات الجندي العربي في معركة العاشر من رمضان. ولنصل جميعا، يومئذ، صلاة الغائب على ارواح شهدائنا الابرار.

القاهرة في ١٢ اغسطس ١٩٧٤

٥

الحق المر:

سأل ابو ذر الغفاري رضي الله عنه محمدا صلى الله عليه وسلم ان يوصيه. اوصاه وصايا عديدة. منها واحدة تقول : " قل الحق وان كان مرا " . حفظ ابو ذر الغفاري ما اوصى به فعاش وحيدا ومات وحيدا ولسوف يبعث وحيدا . قبل ان يموت وحيدا قال فيه علي بن ابي طالب كرم الله وجهه: " لم يبق الان

احد لا يبالي في الله لوم لائم غير ابو ذر ". قال ابو ذر الغفاري مفسرا وحدته : " ما زال بي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لم يبق لي قول الحق صديقا ".

لا عليك ابا ذر. كنت بغير صديق . الان انت قدوة . السنا نعود اليك بعد مئين من السنين نستمد شجاعة قول الحق المر من الانتساب الى اسمك؟ ولسنا نبالي في الحق ان نفقد الاصدقاء الذين كتبوا العدد السادس من "الشورى" او غيرهم .

نقول :

صدر العدد السادس من " الشورى " في ايلول (سبتمبر) ١٩٧٤. هو اول عدد من " الشورى " يصدر في ايلول (سبتمبر) . للامة العربية ذكريات مرتبطة بشهر ايلول (سبتمبر) . نذكر منها انفصال الاقليم الشمالى (سورية) من الجمهورية العربية المتحدة . نذكر منها ما جنت ايدي حسين بن طلال على الثوار في الاردن . نذكر منها استشهاد الزعيم القائد الخالد جمال عبد الناصر . نذكر منها ثورة الفاتح من سبتمبر في ليبيا.. نذكر كل هذا وغيره فنشفق على مجلة " الشورى " مجلة الفكر القومي التقدمي . ان ايلول اختبار جدي لمجلة قومية تصدر في دولة. ما الذي ستقوله "الشورى" في ايلول (سبتمبر) وزحمة الذكريات فيه. هل تتذكر مع ثورة الفاتح من سبتمبر جريمة الانفصال ومذبحة المقاومة واستشهاد الزعيم القائد فتكون قد اطلت من نافذة شهر ايلول على الوطن العربي كله ام تحصر نفسها فتقصر رؤيتها على موقعها من الارض العربية فلا تذكر من ذكريات ايلول الا ثورة الفاتح من سبتمبر كأنها مجلة " الفكر الليبي ".

لم تنجح الشورى في الاختبار.

ليس في العدد السادس من " الشورى " كلمة واحدة عن جريمة الانفصال .

ليس في العدد السادس من " الشورى " كلمة واحدة عن مذبحة المقاومة.

ليس في العدد السادس من " الشورى " كلمة واحدة عن استشهاد الزعيم القائد.

كل العدد السادس (اغلبه)- عن ليبيا وعن ثورة الفاتح من سبتمبر. كأن ليس في الوطن العربي الا ليبيا. وكأن لم يقع في ايلول (سبتمبر) حدث يستحق اهتمام القوميين التقدميين ، عرضا ودراسة وحوارا، الا ثورة الفاتح من سبتمبر.

نقول الحق، والحق مر، ان العدد السادس من " الشورى " قد غلبت عليه الرؤية الاقليمية. الأنه تحدث كثيرا عن ثورة الفاتح من سبتمبر؟.. لا. ثورة الفاتح من سبتمبر تستحق الاشادة بمنجزاتها في عيدها الخامس . الأنه لم يتحدث الا عن ثورة الفاتح من سبتمبر؟.. نعم . ان ايلول (سبتمبر) هو شهر الاحزان القومية . شهر التجارب القومية المرة . شهر الدروس والعبر لمن يريد ان يجنب امته مثل ما أصابها من انفصال سورية، وذبح المقاومة، وغياب الزعيم القائد. لست اتصور قوميا يحمل هموم امته يمر به ايلول (سبتمبر) فلا يذكر احزانها فيرثي وحدتها المؤودة وثوارها المغدورين، وقائدها الشهيد، ثم يكفكف بعبرة الدروس الماضية عبرات الجماهير العربية المسحوقة ويكشف لها طريقها الى مستقبل بدون احزان .

مع ذلك فليس هذا هو كل شيء . ليس الاقتصار على الحديث عن ثورة الفاتح من سبتمبر هو الدليل الوحيد على الرؤية الاقليمية التي طبعت العدد السادس من " الشورى ". الاكثر دلالة هو ان الحديث عن ثورة الفاتح من سبتمبر كان ترجمة لرؤية اقليمية للثورة ذاتها .

مثال رقم ١:

خالد ابراهيم . حكم بأن التنظيمات السياسية على اختلاف صيغها واهدافها وعلى امتداد الساحة العربية فشلت في تحقيق الحد الادنى من مسئولياتها الوطنية منها او القومية . ثم حكم بأن الشارع العربي الآن يعاني وكما لم يعان من قبل حالة من الذهول . لا تفصله عن حالة اللامبالاة سوى مسافة قصيرة . ثم حكم بفقدان الاجابة على السؤال المطروح : كيف يمكن الوصول الى الاهداف القومية المنشودة؟

تلك الاحكام كانت مقدمة لحديثه عن " المسئولية القومية.. الاستعداد والمقدرة " الذي انتهى فيه الى ما قاله : " نحن نواجه اذن تآمرا مدروسا ويجري تنفيذه فصلا فصلا وتواجه الثورة العربية مسؤولية قومية يجب حملها. ولانه لا يكفي الاستعداد لحمل هذه المسئولية مع فقدان القدرة على المضي، ولا يكفي وجود القدرة مع فقدان الاستعداد فان من الطبيعي ان تنتهي المسئولية القومية الى مستعد قادر ولا نعتقد ان هناك سوى ثورة الفاتح من سبتمبر من يريد ان يحمل هذه المسئولية ومن يقدر على حملها "

مهلا يا اخ خالد :

ان الاعجاب بثورة الفاتح من سبتمبر يبرر تحميلها، ما تطيق من المسئولية القومية، اما ان " تعتقد" ان ليس هناك سوى ثورة الفاتح من سبتمبر من يريد ان يحمل هذه المسئولية ومن يقدر على حملها فانك تحكم على الشعب العربي كله حكما منحازا لثورة الفاتح من سبتمبر . انك تحكم بالعقم والعجز على امة كاملة لتضع المسئولية القومية كلها على عاتق فصيل من ابنائها . مع المسئولية القومية كلها قيادة الامة كلها كما لا يخفى عليك . وتلك رؤية ضيقة بقدر ضيق الاقليم الذي تكتب فيه. قصيرة بقدر بعد علمك بكل ما يحتضنه الشعب العربي من ارادة ومقدرة . تلك رؤية اقليمية لانها لا تستكشف الارادة القومية في الشعب العربي كله بل تقيس ارادة القوميين في اقليم على ما تعرف خارج الاقليم فتحكم بأن ليس هناك سوى ثورة الفاتح من سبتمبر من يريد ان يحمل هذه المسئولية ومن يقدر على حملها .

ولماذا حكمت؟

قلت: " لانها تقود ولا تحكم، وبذلك فهي في منأى عن تطويق الثورة بالدولة " .

هل انت واثق من هذا؟.. اخشى ان تكون مبالغا في الاستهانة بمقدرة الدولة- اية دولة- على تطويق الثورة، اية ثورة. وهي مبالغة نحذر منها القراء من الشباب العربي . فكم من ثورة ذهبت ضحيتها فتحولت الثورة الى اداة للدولة بالرغم من الحفاظ على الشعارات الاولى . المشكلة ليست سهلة الى الحد الذي حكمت به . اعني مشكلة الصراع بين الثورة "القومية " والدولة الاقليمية.

ولنختبر- نظريا- بعض جوانب ذلك الصراع .

فنسأل:

هل تستطيع اية ثورة في اية دولة عربية ان تصدر قانونا يؤكد هويتها القومية بأن تقول مثلا :

- " يعتبر كل عربي وافد الى " الدولة " او مقيم فيها من رعاياها فله كافة الحقوق وعليه كافة الالتزامات المقررة فيها بصرف النظر عن الدولة العربية التي يحمل جنسيتها ".

او قانونا يقول :

" استثناء من قوانين " الدولة " التي تحرم الاحزاب والمنظمات يباح للشعب العربي في " الدولة " والمقيمين فيها من ابناء الشعب العربي خارجها ، ان ينشطوا، فكرياً وحركيا لتأسيس الحركة العربية الواحدة " .

او....... الخ .

اريد ان اقول للشباب العربي حذار من ان يصل اعجابكم بأية ثورة في دولة عربية الى حد رؤية الامة العربية من خلالها بدلا من رؤيتها من خلال الامة العربية على مستوى المشكلات وعلى مستوى الحلول . ان هذى رؤية اقليمية سبق ان ذهب ضحيتها قوميون كثيرون . ثم رجاء، لا تستهينوا " بالدولة " فتتوقعوا من القادة فيها ما لا يتفق مع طبيعتها كمؤسسة اقليمية . وكل دولة عربية هي مؤسسة اقليمية ولو كان الحاكمون فيها قوميين . ذلك هو الحق وان كان مرا.

مثال رقم ٢:

وليتأمل الشباب العربي، ان كان ما يزال غير مقتنع بأن الاعجاب بالثورات في الدول العربية قد يصل بصاحبه ، غير الحذر، الى مآزق اقليمية يضع فيها فصيلا من الامة في مواجهة الامة مقارنة ومحاكمة وتقييما. ليتأمل الى أي حد وصل الاعجاب بالاخ بابكر كرار وهو يتحدث عن "الاضافات الفكرية للثورة الليبية ". لا تتأملوا الاضافات فلسنا نعتقد ان احدا من ثوار الفاتح من سبتمبر يدعي ابداعها بدون سابقة فكرية، بل تأملوا مصدر الاضافة كما يراه الكاتب .

قال : " في خلال السنوات الخمس الماضية تكشفت عبقرية البيئة والشعب على ارض ليبيا عن مساهمات فكرية بالغة الاهمية " .

ما شاء الله ولا حول ولا قوة الا بالله .

بيئة ليبيا اصبحت، دون البيئة العربية كلها، بيئة عبقرية . الشعب على ارض ليبيا اصبح، دون باقي الشعب العربي، عبقريا، فابدع بعبقريته في بيئتة العبقرية اضافات غير مسبوقة !!! يستطيع القوميون ان يفهموا تماما عبقرية الامة التي اكتسبتها عبر تاريخها الموحد. لكل امة نواح عبقرية خاصة. فللأمة العربية عبقرية خاصة مثلها مثل كل الامم . ليبيا جزء من الامة العربية. فيها قدر من عبقرية الامة التي هي جزء منها . اما ان تختص هي وحدها بعبقرية خاصة فهو عزل لها عن امتها . رؤية اقليمية. اما عن عبقرية البيئة فهي عودة الى نظرية دارسة. نظرية تقول ما قاله الحزب القومي السوري من أن الارض ذاتها ذات خصائص عبقرية لا تلبث أن تنتقل الى من يقيمون عليها فيصبحوا بها شعبا عبقريا. وقالها الصهاينة عندما قالوا ان ارض فلسطين ذات ارادة خفية فهي لا تمنح خيراتها الا لليهود .

الاخ بابكر كرار لا يقصد شيئا من هذا. مع ذلك يبقى مفيدا للشباب العربي الذي يطالع مجلة "الشورى " ان نحذره من الرؤية الاقليمية التي قد يدفع اليها الحماس .. أو اليأس .

فنقول :

ايها الشباب العربي،

تختلط الاقليمية والقومية في الواقع العربي بحكم ان الامة العربية مقسمة بين الدول الاقليمية بدون فائض قومي . كذلك تختلط الاقليمية والقومية في الفكر العربي ، بحكم ان القوى غير مفرزة في الوطن العربي . وينتج عن هذا ثلاث زوايا لرؤية الواقع :

١- رؤية اقليمية خالصة، ترفض الانتماء القومي ، بل تنكر وجود الامة ذاتها وتستقل بذاتها مشكلات وحلول .

٢- رؤية قومية خالصة ، تلتزم انتماءها القومي ولاترى الاقاليم مشكلات وحلولاً الا من خلال المشكلات والحلول القومية .

٣- ثم رؤية اقليمية مختلطة تقبل انتماءها القومي ولكنها ترى المشكلات القومية وحلولها من خلال مشكلات وحلول الاقليم الذي تنتمي اليه.

فاحذروا الرؤية الاقليمية الخالصة والمختلطة. والمختلطة منها اكثر اغراء من الخالصة. وتشبثوا حتى في التفاصيل بالرؤية القومية . حينئذ قد ترون في ثورة الفاتح من سبتمبر ايجابيات لم يرها كتاب الشورى فتكتبون عنها في عيدها السادس مالم يكتبوه . ولقد ترون فيها من السلبيات ما يكون ذكره في عيدها اكثر جدوى لها ولكم من كل ما قيل . لان الحق اجدى ولو كان مرا.

الوجه الاخر:

على السفود ينضج الشواء من اللحم . لا شواء ولا نضج ولا سفود اذا انعدمت المادة . هنا نأخذ ما يكتبه الناس في " الشورى " لنقدمه الى الشباب العربي من القراء بعد ان نحاول انضاجه لا محل لقلم ابي ذر اذا كانت الفكرة غائبة من صفحات " الشورى " .

من الافكار التي غابت ، لا ادري كيف، الحديث عن ثورة الفاتح من سبتمبر من حيث هي ثورة الضباط الاحرار "الوحدويين" . اعني الحديث عن علاقة الثورة بهدفها الاساسي : الوحدة لماذا لم نقرأ في العدد السادس من " الشورى " شيئا عن الثورة والوحدة . في المنطلقات . في الاهداف . في الاسلوب . في الادوات .. الخ . الأن الثورة قد حققت نجاحا يشكر في كل ميدان ولم تحقق في سبيل الوحدة نجاحا يذكر ؟ . ان تجارب الفشل اكثر خصوبة للمعرفة من تجارب النجاح . من حق الشباب العربي ان يتعلموا من التجارب التي فشلت حتى لا يفشلوا مرة اخرى . لكن المادة غائبة. نحن لا نقدم وجبات من عندنا مبتدئين بل ننضج ما يقدمه الكاتبون للقراء . اذن، نأسف لما غاب ، ثم ننتقل الى مواد اخرى .

نصف الحق:

يتضمن " ملف " العدد السادس من " الشورى " ثلاث دراسات قيمة : " التخلف والتنمية " بقلم الدكتور عبد المجيد شوربجي . " التخطيط الاقتصادي " بقلم حسين العلواني " الثورة والتنمية " بقلم مختار بورو...

(١) التخلف والتنمية :

اشهد بان مقال " التخلف والتنمية " من اجود ما قرأت في " الشورى " منذ صدورها ومن افضل ما كتب في موضوعه " بمثل هذه الدراسات العلمية الجادة تعيش " الشورى " وتأخذ مكانا مرموقا بين مثيلاتها في الوطن العربي . اقترح على " الشورى " أن تعيد نشر مقال الدكتور عبد المجيد شوربجي عن " التخلف والتنمية " في كتيب يكون متاحا بدون مقابل لمن يطلبه من الشباب العربي. لعله ان يكون اسعد حظا من الكتاب الذي اهدته مع العدد السادس ولم يصل الى من اشتروها. لاقتراحي تكملة. ان يكمل الدكتور شوربجي بحثه بمثل الجدية والصفاء الذهني الذي بدأه بها . ذلك لان مقال الدكتور شوربجي عن " التخلف والتنمية " ناقص من وجهة النظر القومية التقدمية.

لقد كتب فأجاد عن مشكلات التخلف والتنمية في العالم الثالث . ضرب امثلة شتى من دول ما يسميه "العالم العربي" . القوميون لا يعرفون ما يعنيه " العالم العربي " . نحن نعرف الامة العربية والوطن العربي . نعرف الدول الاقليمية القائمة على اساس تجزئة الامة العربية شعبا ووطنا . بعد ان نسلم مع الدكتور شوربجى بصحة ما جاء في مقاله عن مشكلات التخلف والتنمية على المستوى العام، اي مستوى العالم الثالث الذي تنتمى اليه الامة العربية ، ننتظر - كنا ننتظر- ان تضاف المشكلات الخاصة الى المشكلات العامة كنا ننتظر ان ينتقل بنا الكاتب من العام الى الخاص لنعرف منه اثر التجزئة في مشكلات التخلف واثر الوحدة في التخطيط الاشتراكي للتنمية.

مثلا:

قال : " اتضح للمؤتمر (المؤتمر الثالث للتنمية والتصنيع الذي عقد في مدينة طرابلس في الجمهورية العربية الليبية) انه بالرغم الجهود التي بذلتها الدول العربية في سبيل التصنيع حتى الان فان نصيبها في عام ١٩٧٠ لم يتجاوز ٠,٤% من الانتاج الصناعي العالمي و ٦% من الانتاج الصناعي لمجموعة الدول النامية كما بلغ نصيب الفرد العربي من الانتاج ما يوازي ٣١ دولارا مقابل ١٨٩ دولارا للفرد في بلدان امريكا اللاتينية ولم تتعد نسبة الناتج من الصناعات التموينية الى الناتج المحلي الاجمالي ١٠% بالنسبة للدول العربية في مجموعها وانها اذا ما اخذت " كمجموعة اقليمية " فانها تعتبر طبقا للمعيار الذي اعتمده المصرف الدولي للانشاء والتعمير من الدول التي ما تزال في سبيل التصنيع " .

جميل . هكذا تطرح المشكلات .

ولكنا كنا ننتظر ان نعرف اثر التجزئة في هذه المشكلات . هذه هي الدول العربية " كمجموعة اقليمية " . هل كانت طبيعة مشكلات التخلف والتنمية تختلف لو كانت دولة واحدة؟ بوضوح اكثر هل عوقت التجزئة ذاتها- مع تثبيت كل عناصر التنمية الاخرى ـ الجهود التي بذلتها الدول العربية في سبيل التصنيع حتى الان؟. لقد اقترح الدكتور شوربجى حلولا علمية لمشكلات التخلف في العالم الثالث- ومنه العالم العربي- فهل تضيف الوحدة شيئا الى تلك الحلول؟.. الفكر القومي التقدمي الذي يسلم بكل ما جاء في المقال الرصين من حقائق علمية عن المشكلات وحلولها بالنسبة الى العالم الثالث يزعم ان في الوطن العربي اضافة واقعية للمشكلات والحلول . التجزئة اضافة الى المشكلات تحول دون ان يبلغ الشعب العربي بذات الامكانيات المتاحة له الان ، بذات الجهد الذي يبذله الان ، معدل التنمية الذي كان يمكن تحقيقه في ظل الوحدة . فتضاف الوحدة العربية الى حلول مشكلات التخلف. وعندما يختتم الدكتور شوربجى دراسته القيمة بقوله : ان الاشتراكية هي الثورة على التخلف ولا بد للثورة من ثوار،

يكون القوميون التقدميون في انتظار تكملة خاصة بالتخلف والتنمية وعلاقتهما بالتجزئة والوحدة في الوطن العربي يكون ختامه : ان الوحدة الاشتراكية هي الثورة العربية على التخلف في الوطن العربي ولابد للثورة العربية من ثوار اشتراكيين وحدويين .

وعندما يقول :

" ان التصنيع في الدول النامية هو ثورة الشعوب العربية المظلومة من اجل خلاصها . انه يحتاج كما ذكر الاخ جلود في افتتاحه لمؤتمر التنمية الصناعية العربي ، الى الجرأة والاقدام كما يحتاج الى وضوح الرؤيا الفلسفية ، وعندما يصر على التأكيد على اهمية الفلسفة الواضحة للتصنيع فذلك يعني به الطريق الموصل له الا وهو الطريق الاشتراكي " .

يكون قد صدق .

ولكنا نحسب انه عندما يصر الاخ جلود على التأكيد على أهمية " الجرأة والاقدام " من اجل التصنيع فانه يعنى " الطريق الموصل له الا وهو الطريق الوحدوي " .

فهل يتفضل الدكتور شوربجي بتكملة بحثه. نحن الشيوخ من القوميين التقدميين ننتظر ونرجو لنستفيد فنتعلم فما بالكم بالشباب ؟.. كلنا في انتظارك يا دكتورنا العزيز..

(٢) التخطيط الاقتصادي :

هذا مقال جيد من حيث انه تناول التخطيط الاقتصادي في جانبه الفني . كيف توضع الخطة الاقتصادية وما هي شروط كفاءتها . جيد لولا انه مختصر . الكاتب معذور . لست اعتقد ان العدد السادس من " الشورى " كان يتسع لمقال طويل ثان بجوار مقال الدكتور شوربجي . نأخذ على المقال ما اخذناه على ما سبقه . سلبيته بالنسبة الى مشكلة التجزئة وهدف الوحدة . كنا ننتظر ان يجيب الاخ حسين العلواني على سؤال ذي اهمية بالغة لكل الاشتراكيين الذين يضعون خطط التنمية في ظل التجزئة. صحيح ان عملية التخطيط تتحلل- كما قال- الى ثلاثة عناصر:

اولا تحديد الامكانيات القومية
ثانيا تحديد الاهداف القومية
ثالثا الاختيار الاقتصادي

صحيح وجيد .

لكن ماذا يعني الاخ حسين علواني بكلمة " القومية " في تحديد الامكانيات والاهداف . الفكر القومي التقدمي يعني بالامكانيات القومية امكانيات الامة العربية كلها .. يعني بالاهداف القومية (من التخطيط) اشباع احتياجات الشعب العربي كله. فهل هذا ما يعنيه الاخ حسين العلواني؟.. يصر الفكر القومي التقدمي على ابراز هذا الشمول لان التخطيط الاقتصادي في الوطن العربي يصادف مشكلة خاصة بالأمة العربية (وامم قليلة اخرى) هي مشكلة التجزئة. التخطيط الاقتصادي قد يكون شاملا الدولة وقد يكون شاملا الامة . يختلف في الحالتين عندما يكون تخطيطا اقتصاديا للدولة تصدق كل كلمة قالها الاخ حسين العلواني ما عدا فقرة غريبة سنعود اليها عندما يكون التخطيط اقتصاديا لامة مجزأة ، تدخل التجزئة القائمة او الوحدة المتوقعة عنصرا من عناصر الخطة الاقتصادية لتحدد الامكانيات قوميا واقليميا، ثم تحدد الاهداف قوميا واقليميا، ثم تحدد الإختيار الاقتصادي بحيث تبقى الخطة الاقتصادية

قابلة للتطبيق عند تحقيق الوحدة ، او- على الاقل- بحيث لا تقوم الخطة الاقتصادية حائلا او عائقا في سبيل الوحدة . هكذا يفعلون – مثلا- في المانيا الشرقية حيث يتضمن التخطيط الاقتصادي " خطة " لاحتمالات الوحدة الالمانية .

هذه " التكملة " مفتقدة في مقال الاخ حسين العلواني مع انها تكملة حاسمة. بها يفرز الاشتراكيون انفسهم فهم اشتراكيون اقليميون . او هم اشتراكيون وحدويون . وبها تلتحم الوحدة بالاشتراكية او تنفصل . في كل الحالات هي تكملة تمثل جوابا على سؤال مطروح بين الشباب العربي : ما علاقة الوحدة بالاشتراكية؟... فلعل الاخ حسين العلواني لا يدع الشباب العربي في انتظار الجواب طويلا .

الفقرة الغريبة:

هي غريبة لانها- فيما نرى- لا تتسق مع المنطق العلمي المحكم الذي صاغ مقال " التخطيط الاقتصادي " . تقول الفقرة :

" يمكن القول بان فكرة التخطيط الاقتصادي ترجع الى احد ثلاثة منابع : التقنية- الاشتراكية- الوطنية. فينصح الفنيون باللجوء الى التخطيط الاقتصادي لاقتناعهم بانه الاسلوب الوحيد لبلوغ الرشد الاقتصادي . أي ان استغلال الموارد المتاحة بالشكل الذي يضمن بلوغ اقصى عائد ممكن وعلى ذلك فانهم لا يبغون اهدافا سياسية او اجتماعية وانما تنحصر نظريتهم فقط من الناحية العلمية. اما الاشتراكيون فانهم يؤيدون التخطيط الاقتصادي لانه يساعد على بلوغ اهداف اجتماعية محددة وهي المساواة الأقتصادية والاجتماعية فهم لا يهتمون كثيرا بالرشد الأقتصادي أي الاستخدام الاقتصادي للموارد بقدر اهتمامهم بالمساواة الاقتصادية والاجتماعية التي هي اكثر اهمية من الاهداف التكنيكية البحتة، وترجع ضرورة التخطيط الاقتصادي في ظل الاشتراكية الى عجز الاقتصاد عن تحقيق المساواة الاقتصادية والاجتماعية اذا ما ترك دون تدخل الدولة.

" اما الوطنيون او القوميون فهم يناصرون التخطيط الاقتصادي لاعتقادهم بانه سوف يساعد على تحقيق اهداف سياسية لا يمكن للاقتصاد غير المخطط ان يحققها فالوطنيون يضعون الاقتصاد في خدمة السياسة حتى يمكنهم تنمية القوة العسكرية لدولهم ضد الدول الاخرى فهم يعتقدون والامر كذلك ان مصالح دولهم في تضاد مستمر مع مصالح الدول الاخرى ولذلك فهم يلجأون الى التخطيط الاقتصادي الذي يمكنهم من تحقيق ما يصبون اليه من قوة داخلية وخارجية " .

لا .

ليس في هذه الفقرة جملة واحدة صحيحة. اني اشم فيها رائحة أفكار مهترئة لا تتفق مع منطق المقال وسياقه. هل دست فيه ام دست عليه؟.

فأولا: ليس صحيحا ان فكرة التخطيط ترجع الى واحد من ثلاثة منابع . التقنية. الاشتراكية. الوطنية. ان افتعال الغربة بين هذه الخصائص الثلاث ومحاولة وضع القارىء في موضع الخيار بينها تعسف لا مبرر له من الواقع او العلم . فالتخطيط الاقتصادي له شروطه التقنية التي لا بد من توافرها ليكون تخطيطا اقتصاديا والتخطيط الاقتصادي الشامل الامكانيات والاهداف القومية هو النظام الاقتصادي الاشتراكي ذاته لانه البديل عن المنافسة الحرة التي هي قانون الاقتصاد الرأسمالي ومميزه . فعندما يضع الرأسماليون خططا اقتصادية، " لمؤسساتهم " الخاصة يكون هدفهم اما استغلال الشعب او قضاء بعضهم على بعض وبالتالي لا يكون لخططها علاقة لا بالامكانيات القومية ولا بالاهداف القومية فهو اذن ليس التخطيط الاقتصادي الذي عرفه صاحب المقال . والتخطيط الاقتصادي الاشتراكي هو وحده ،

ولا شيء غيره ، الذي يعطي لكلمة الوطنية، او القومية؟ مضمونها العيني . فالوطنية انتماء مشترك الى وطن معين . والوطن امكانيات مادية وبشرية. فالاستئثار بموارد الوطن ليس وطنية. وبدون اشتراك المواطنين في الامكانيات المتاحة في وطنهم تكون الوطنية كلمة فارغة . ولا تتم هذه المشاركة الا بتوظيف كافة الموارد في الوطن لخدمة جميع ابنائه ، وهذا لا يتم الا بالتخطيط الاقتصادي هكذا تكون التقنية والاشتراكية والوطنية خصائص ثلاثة للتخطيط الاقتصادي لا بد من توافرها جميعا ليكون تخطيطا اقتصاديا بالمعنى العلمي لهذا التعبير. ولقد ذكر صاحب المقال ان التخطيط الاقتصادي الشامل قد ظهر في الاتحاد السوفياتي سنة ١٩٢٨. فهو اذن من ابداع الاشتراكيين في وطن كان حينئذ محاصرا اقتصاديا. ابدعوه تحت تأثير الرغبة في الانقاذ الوطني واذا كانوا قد نجحوا فيه حتى وصلوا الى القمر فلا شك انهم قد ادوه " تقنيا " كما يجب ان يؤدى فكأن النشأة التاريخية للتخطيط الاقتصادي كانت اشتراكية وطنية تقنية معا.

وثانيا : ليس صحيحا ان الفنيين لا يبغون اهدافاً سياسية واجتماعية. لا يوجد احد لا يبغي من وراء عمله اهدافا سياسية واجتماعية سواء اعلن اهدافه ام اخفاها . وفي كل الحالات يكون الفنيون في كل مجتمع في خدمة النظام السياسي والاجتماعي السائد مريدين او مكرهين ، اعني انهم لا بد لهم من ان يستهدفوا تحقيق غاياته حتى لو اختلفوا معه . فالنشاط الفني اذن مرتبط باهداف سياسية واجتماعية دائما، ولا يوجد ولا يمكن ان يوجد نشاط فني - او غير فني- لوجه الفن وحده .

وثالثا: ليس صحيحا ان الاشتراكيين لا يهتمون بالرشد الاقتصادي أي بالاستخدام الاقتصادي الامثل للموارد بقدر اهتمامهم بالمساواة الاقتصادية والاجتماعية . تلك كانت النظرية الماركسية في نشأتها الاولى وإلى ما قبل سنة ١٩٢٤ (وليس ١٩٢٨) عندما كان الماركسيون يتصورون ان الثورة الاشتراكية ستنفجر في الدول المتقدمة حيث يكون الرخاء قد تحقق فلا تبقى الا المساواة في العائد الاقتصادي . ولكن كل هذا قد انتهى على يد لينين في روسيا ثم قبر نهائيا في العالم الثالث حيث يواجه الاشتراكيون مشكلات التخلف والاستغلال معا وحيث يكون شعار الاشتراكيين " الكفاية والعدل، والحق ان ا لاشتراكيين لم يبدعوا التخطيط الاقتصادي من اجل المساواة " في الفقر " بل ابدعوه في الامم المتخلفة من اجل التنمية الاقتصادية بدون استغلال . فهو ادأتهم في التنمية قبل ان يكون اداتهم في المساواة . الم يذكر صاحب المقال في اول مقاله ان التخطيط الاقتصادي طريق لحل المشكلة الاقتصادية التي قال عنها انها تقوم اساسا على ندرة الموارد بالنسبة للحاجات . اذن فالتخطيط الاقتصادي كان وما يزال طريق الاشتراكيين الى تجاوز الندرة الى الرخاء .

رابعا : فليس صحيحا، بل هو افتراء ان يقال ان القوميين يعتقدون ان مصالح دولهم في تضاد مستمر مع مصالح الدول الاخرى ولذلك فهم يلجأون الى التخطيط الاقتصادي الذي يمكنهم من تحقيق ما يصبون اليه من قوة . ان هذا اتهام للقومية- او الوطنية- بأنها شوفينية او عدوانية دائما. وكأن الوطنيين والقوميين لا هم لهم الا الاعتداء على غيرهم تحت تاثير اعتقاد مرضى بان مصالح دولهم في تضاد مستمر مع مصالح الدول الاخرى . كأن القوميين او الوطنيين هم المسئولون عن الحروب التي تشنها الدول الاستعمارية على اوطانهم ... الخ .

لماذا قال الاخ حسين العلواني كل هذا ؟...

لست ادري . وهو- بعد- قول غريب على سياق الحديث كأنه مدسوس فيه او مدسوس عليه .

أيا ما كان الامر،

فأن القوميين الاشتراكيين يقولون لهذه الفقرة من المقال : سلاما.

(٣) التنمية الاقتصادية على اساس الاعتماد على القدرة الذاتية؟

هذا هو المقال الثالث من ملف " الشورى " (العدد السادس) . هو من حيث النوع افضل ما قيل في ثورة الفاتح من سبتمبر بمناسبة عيدها الخامس . قراءته ممتعة. فيه تتحول الثورة الى حياة وهذا اقصى ما تطمع فيه اية ثورة ناجحة . المقال يتحدث عن الواقع في ليبيا الدولة. في هذه الحدود لا ملاحظات الا الاشادة به والتحريض على اعادة قراءته لمن قرأه وقراءته لمن فاته العدد السادس من "الشورى" . مع ذلك هناك ملحوظة صغيرة نشير اليها لأننا سبق ان تحدثنا عنها . اعني علاقة الوحدة بالتنمية الاقتصادية في ليبيا انني كقومي اكره كلمة القدرة الذاتية لانني ارفض " ذاتيات" الدول العربية، ولا اثق بعائد المقدرة الذاتية ولو في المدى الطويل .. ولقد رفع شعار المقدرة الذاتية في فترة تاريخية سابقة من موقع معاد للوحدة..

لماذا لا يجتنب الشباب القومي- وهم يكتبون- بعض التعبيرات سيئة السمعة . ان الامر لا يحتاج الا الى قدر ضئيل من الانتباه لكي يكتشف الدكتور مختار بورو ان تقسيمه قوة العمل في ليبيا الى عمال " وطنيين " وعمال " غير وطنيين " يصدم القارىء الذي لا يقبل هذه التفرقة الاقليمية بين العرب العاملين في ليبيا ويغذي النزوع الاقليمي بين العاملين انفسهم .

وبعد،

فهل كانت كلماتي فاشية. اني اذن اتلبس روح ابي ذر الغفاري رضى الله عنه. كان يقول الحق ولو كان مرا. وكان يقوله بقسوة جافة.

لقيه ابو موسى الاشعري يوما فلم يكد يراه حتى فتح ذراعيه وهو يصيح من الفرح بلقائه : " مرحبا ابا ذر... مرحبا أخي!. ولكن ابا ذر دفعه عنه وهو يقول : " لست بأخيك انما كنت اخاك قبل ان تكون واليا واميرا " .

والسلام على اصحاب ملف " الشورى " .

فذلكة نفسية :

مقال "سيكولوجية المكتبة العربية" الذي كتبه الدكتور ملاك جرجس مقال ظريف . ينبه الشباب العربي الى ما يستحق الانتباه . الاستفادة بعلم النفس في فهم بعض الظواهر الاجتماعية . ينصب المقال على المكتبية (البيروقراطية) . حاول تفسير سلوكها على اسس نفسية جماعية. فيكتشف ان البيروقراطيين مرضى . " بالجملة " المرض الجماعي مبرر نفسيا لان السيكولوجية الجماعية مبررة علميا . يقول فرتهيمر: " عندما يعمل جماعة من الناس سويا، يندر ان يظلوا مجرد عدد من " الادوات المستقلة " ولن يحدث هذا الا تحت ظروف خاصة جدا . والذي يحدث بدلا من ذلك هو ان يصبح المشروع العام محط عنايتهم جميعا وبالتالي يعمل كل منهم باعتباره جزءاً من كل ". وهي حالة نفسية اسماها شولته حالة " النحن " .

البيروقراطية اذن مرض والبيروقراطيون مرضى ، هكذا اراد لهم الدكتور ملاك جرجس . وهم عنده مرضى " بالشيزوفرينيا " او الفصام . وهو- كما قال- " مرض اهم اعراضه الانكماش والخوف وعدم المقدرة على الاخذ والعطاء والخوف من التجديد او المبادأة ، مما يجعل المريض بهذا المرض شخصا

سلبيا يدور داخل محيط نفسه ويعاني لدرجة كبيرة من أحلام اليقظة تلك الاحلام التي تحقق له الراحة والرضاء والشعور بالعظمة وتعوضه في الخيال عن الكثير الذي يعجز عن تحقيقه في الواقع " .

هذا هو مرض " الشيزوفرينيا ".

وهناك مرض آخر اسمه " السيكوباتيا؟.

يقول علماء النفس :

" يرتكب السيكوباتيون اعمالهم دون خجل، وفي بعض الاحيان علانية، بل يفاخرون بها. ليس في مقدورهم ان يحتفظوا بسرية اعمالهم وقد يدركون باللفظ خطأ هذه الاعمال ولكن ينقصهم نمو العواطف. وهم يستخفون بالامر ولايتحمسون لشيء. كما انهم على كثير من فجاجة الانفعال. ولكنهم من ناحية اخرى يعجزون عن اي تدبير معقد. وقصاراهم ان يقوموا ببعض الحيل الصغيرة التي يسهل كشفها. ويعوزهم بعد النظر فهم لا ينتفعون من التجربة السابقة برغم ما يبدو عليهم ظاهريا من سواء او تفوق ذهني . كما انهم يعيشون في ملذات الحاضر وتجرفهم اهواء اللحظة الراهنة. وهم لا يعبأون بالنتائج التي يتعرضوا لها من اعمالهم او التي يتعرض لها اقاربهم او المجتمع . وهم يرتكبون جميع انواع الجرائم فهم يسرقون ويكذبون وينصبون . على الرغم من هذا فانهم يبدون امام الغرباء كقوم اذكياء ظرفاء " .

فهل البيروقراطيون مرضى:
با لشيزوفرينيا؟..
ام بالسيكوباتيا ؟..

نترك الاجابة للقراء هواة الفذلكة .

٦

تحية للمجتهدين :

سؤال : ما الذي يحدث لو تقدم العلم فحصن الناس ضد المرض؟

جواب: يتعطل الاطباء.

سؤال: ما الذي يحدث لو تقدمت المجتمعات فانقطعت الجرائم؟

جواب: يجوع المحامون .

سؤال: ما الذي يحدث لو تقدمت الشعوب فامتنعت الحروب؟

جواب: تفلس الولايات المتحدة الامريكية.

سؤال اخير : ما الذي يحدث لو اصبح كل ما يكتب في" الشورى " في مثل تفوق " ملف العدد السابع "؟

جواب: يطفىء ابو ذر ناره ويحمل سفوده ويختفى . باسم القراء، ولست الا واحدا منهم انوب عنهم فضالة، (الفضالة هي الوكالة عن الغير فيما ينفعه بدون اذن سابق وهي مشروعة)، احيي الدكاترة حسين مؤنس، ومحمد فاروق النبهان، ومحمد النويهي، ومحمود زايد، واشكر لهم ما قدموه في العدد السابع من " الشورى " تحت العنوان العام؟ " الدين والتطور الحضاري في الوطن العربي ". كان ما كتبوه وجبة فكرية ناضجة. لا أقول وجبة دسمة . الوجبات الدسمة " ثقيلة، و " ضارة ".

لماذا؟

نقول " ثقيلة " للوجبات التي تبقى في المعدة اكثر من المتوقع . الوجبات الدسمة هي التي تبقي الطعام في المعدة اكثر مما يجب ، مع ان " الدهن " (اغلبه) لا يتم هضمه في المعدة بل في الامعاء الدقيقة. أي ان المعدة لا تبذل جهدا " يذكر" في هضم الدهون . تعبر منها الدهون ولا تتوقف فيها. تهضم الدهون بما يفرزه البنكرياس في الامعاء من انزيمات (ستبسين). فكيف تضعف الدهون حركة المعدة مع انها لا تقتضي منها جهدا يذكر؟

هذا اعجاز من اعجاز اسرار التكوين .

تصب المعدة عصارتها وتهضم ما تهضم من كتل الطعام الا الدهون . تنقبض المعدة وتنبسط في حركة موجبة لتمزج افرازاتها بكتل الطعام فيها . اثر كل موجة تدفع بجزء اكتمل هضمه فيها الى الامعاء الدقيقة . تستقبل الامعاء الدقيقة ما تدفعه المعدة وهي ساكنة الى ان يأتي دورها في بذل الجهد. يأتي دورها عندما تدفع اليها المعدة موادا دسمة . الامعاء الدقيقة دقيقة. لا تحتمل كل ما تقدر عليه المعدة . فكأنها تريد ان تقول للمعدة اني مشغولة بما قدمت فلا تدفعي الي بالمزيد الى ان انتهى مما انا فيه . يقول عالم الكيمياء الحيوية منك (١٨٨٤) انه بمجرد، ملامسة الدهون للسطح الداخلي للامعاء الدقيقة ينطلق من الأمعاء " هرمون " يحمل رسالة الى المعدة . لا يأخذ طريقه خلال كتلة الطعام الى المعدة القريبة (جغرافيا) بل عبر الدورة الدموية الاسرع اتصالا. لا يذهب الى اليدين او القدمين او الرأس او القلب... الخ، بل يشق طريقه الى المعدة مباشرة . ما ان يصل حتى " تدرك " المعدة الرسالة فتبطىء انقباضها وانبساطها. تبقى الطعام فيها اكثر مما يجب، معفية الامعاء الدقيقة من مزيد من الدفعات، حتى تؤدي الامعاء وظيفتها بدون اجهاد .

فنشعر بثقل الطعام من طول بقائه في المعدة .

الامعاء الدقيقة ليست بيروقراطية او استغلالية او انتهازية. انها لا تستغل استجابة المعدة لتتلكأ هي . تنشط لاداء وظيفتها لتتحول الدهون الى جلسرين واحماض دهنية (الينيك- لينوليك- لينولينيك- كلوبا نودنيك- اراشيدونيك) . لكل شيء طاقة وحدود . في الوجبات الدسمة لا يكفي تعاون البنكرياس والامعاء الدقيقة لهضم المواد الدهنية المتدفقة ، شراهة، الى المعدة . فكأن الامعاء الدقيقة لا تريد ان تعطل المعدة اكثر مما فعلت . فتمتص من الدهون المتدفقة اكثر مما تستطيع هضمه. هكذا تصل الى الدم كمية من الدهون - كما هي بدون هضم- في شكل حبيبات دقيقة. يتجه بعضها الى الكبد فتتزايد كمية الكلسترول . الكلسترول سبب اساسي لامراض " الجلطة " التي تتحول مع الدم الى ان تصل الى مواقع ضيقة فتقفلها مؤدية الى الوفاة . ويدور بعضها مع الدم ويترسب على جدار الشرايين فتضيق وتفرض على القلب جهدا مضاعفاً لدفع الدم فيها. مع توالي الوجبات الدسمة يتوالى الترسيب او الضيق الى ان يؤدى الى ما يعرف باسم الذبحة الصدرية، وهو مرض بالغ الخطورة على الحياة .

لكل هذا نقول عن " ملف الشورى " (العدد السابع) انه وجبة ناضجة ولا نقول وجبة دسمة. لكن هذا لا يعني ان قد انقطع القول وعلى ابي ذر ان يطفيء ناره و سفوده ويرحل . بل ان لدينا ما يستحق القول . هكذا أظن على الاقل وليس كل الظن اثما.

الدين والحضارة القومية :

اولا : يحصر الدكتور حسين مؤنس الجوانب الحضارية من الاسلام في :

(١) الجانب الحضاري من العقيدة الاسلامية :

الاخوة الانسانية في الدين على اساس ان " ابراهيم وموسى وعيسى، كلهم مسلمون مثلهم في ذلك مثل محمد صلى الله عليه وسلم " والحرية " ان يترك للناس الحرية في الدخول فيه (الاسلام) فمن اقتنع دخل ومن لم يقتنع تركه حتى يفتح الله عقله وقلبه للايمان ".

(٢) الجانب الحضاري مع الشريعة الاسلامية:

١- العبادات : نفعها للبشر لانها " واجبات دينية تعود على من يؤديها من البشر بالخير لان الله سبحانه ليس في حاجة الى الخلق او الى اي شيء يعملونه ". ومن فوائدها تعليم الناس المحافظة على المواعيد والاتحاد والنظافة. وقد ادت الى تنشيط فن العمارة والهندسة والفنون والصناعات (الصلاة) والتآخي (الزكاة) والتعارف الذي يؤدي الى النشاط ا لاقتصادي (الحج).. الخ.

ب- المعاملات : التوفيق بين مصلحة المجتمع وحريات الفرد والاكتفاء بالعمل الى درجة الايمان، والحض على التعلم وطلب العلم.. الخ

ثانيا : يقصر الدكتور محمد فاروق النبهان الجوانب الحضارية من الاسلام على جانب واحد عبر عنه في عنوان مقاله " الفكر السياسي في الاسلام " . يؤكد في فقرات مقاله المتتالية تفوق الاسلام "كنظام سياسي" الى حد الدفاع عن " الخلافة" . ثم يؤكد تفوقه كنظام اجتماعي واقتصادي . انه جملة- يتحدث عن الجانب الحضاري من الاسلام الذي يتصل بالتنظيم الاجتماعي في نواحيه الدستورية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية.

ثالثا: يقصر الدكتور محمد النويهى مقاله على " ازمة التطور الحضاري في الوطن العربي " مبينا بقوة ثورية- ثورية حقا لا مجازا- دور التقليد الديني في الوصول الى الازمة، مقترحا للخروج من الازمة الابداع الحضاري بدون قيد من اجتهادات السلف الصالح ، مؤكدا اتفاق هذا الابداع المتجدد المتطور المواكب لحركة التقدم الانساني مع الدين . فهو يتحدث بقوة ثورية عن ذلك الجانب الثوري من علاقة الدين بالحضارة . جانب الحركة. التغيير . التطوير. ان الدكتور محمد النويهي يوجد علاقة حميمة بين الدين وبين حركة التطور الاجتماعي . عرفنا ان مقال الدكتور محمد النويهي وان كان يحمل عنوانا يتصل بالازمة الحضارية، ينصب على جوهر موضوع العلاقة بين الدين والتطور الحضاري .

رابعا : اما الدكتور محمود زايد فقد تناول موضوع الدين والتطور الحضاري في جانبه " الاممي " حيث ابرز دور الاسلام كرابطة مشتركة بين امم عدة وما يمكن ان يسفر عنه من تقريب بين تلك الامم فيما يسميه بالوحدة الاسلامية فيقول ابو ذر :

ان اساتذتنا الافاضل قد اجادوا فيما قالوا ولكنهم نسووا او تناسوا او لم يتسع المقال ليذكروا اهم وابقى واخلد جانب حضاري كان مرجعه الاساسي الى الدين الاسلامي . تكلموا فأجادوا عن الاخوة الانسانية. عن الحرية والحرية للانسان . عن التعليم ولا يتعلم الا الانسان ، عن السياسة والنظم السياسية وهي لا تقوم الا في مجتمع الانسان .. باختصار، عن الحضارة في اغلب جوانبها ما عدا اهم تلك الجوانب : الانسان . لم يقل احد منهم كيف طور الاسلام الانسان . الانسان المفرد مجرد. اذن كيف طور الاسلام المجتمعات الانسانية ؟

باختصار كبير .

من عشائر وقبائل، الى مجتمع لا قبلي ، الى شعوب دخلها الاسلام مختلفة اللغة والدين والسياسة والاقتصاد والانتماء فصهرها في بوتقة فحولها خلال مئات السنين من شعوب مختلفة الى امة واحدة . انها الامة العربية المولود الحضاري للاسلام دينا وثورة . ادركها وهي متخلفة اطواراً عن الطور القومي . او وهي تنمو في مرحلة الشعوبية نحو مرحلة القومية، فاختصر مسيرتها الحضارية ومزجها واعطاها عناصرها المشتركة ووفر لها كل الامن اللازم لتتفاعل وتثمر، فكانت الثمرة التاريخية هي الأمة العربية و عندما طور الاسلام البشر من عشائر وقبائل وشعوب متفرقة إلى امة واحدة، طور البشر هياكلهم السياسية وانماط تعاملهم الاقتصادي و الاجتماعي وطرز بناياتهم وهندستهم وفنونهم ولغتهم ايضا . اما لماذا لم يفعل مثل هذا بغير القبائل والشعوب التي اصبحت امة عربية، فلأنه ادركها وهي امم مكتملة فأعطاها حضارة ولم يخلقها حضاريا . الفرق دقيق ولكني احسبه واضحا.

هذا- ايها السادة- هو الخلق الحضاري للاسلام . لم يكن موجودا قبله فاوجده . بدأه بعناصر تكوينه الموروثة من العصر القبلي والشعوبي فغذاه من عنده بالعناصر المشتركة اللازمة للتكوين القومي. بعد هذا، فان كل ما قلتموه- ايها السادة- يمكن ان ينسب الى الحضارة العربية. حتى الازمة التي تحدث عنها الدكتور محمد النويهي هي ازمة التطور الحضاري للعرب . حتى المخرج من الازمة كما اقترحه هو مخرج الامة العربية من ازمتها.

ايها السادة : كان قبل الاسلام عرب. ولم تكن قبل الاسلام امة عربية. بل ولدت نواتها بمولده. ونمت بنموه واكتملت نموا تحت رايته ، فلا ينبغي لنا الآن ان نتحدث عن الاسلام والتطور الحضاري فنذكر كل شيء ما عدا الامة التي صنعها الاسلام فهي من خلق ثورته الحضارية .

ثم :

أليس عنوان الملف " الدين والتطور الحضاري في الوطن العربي "؟

والسلام عليكم ورحمة الله .

اجتهاد في الاستراتيجية والتكتيك:

من قواعد الاجتهاد في الاسلام انه مثوب مرتين ان اسفر عما هو صحيح . اما اذا اسفر عن خطأ فمثوب مرة واحدة . الاسلام هو الدين الوحيد الذي يحض على الاجتهاد بغير خوف من الخطأ ، بل بترقب الثواب في كل حال . يقول الدكتور محمد النويهي في مقاله الرائع وهو يطالب بحملة فكرية منظمة :

" ان هدف الحملة الفكرية المطلوبة هي ان نقنع الناس بوجوب الاخذ بالنظرية العلمانية الخالصة في كل ما يختص بامور معاشهم ودنياهم وهي لن تفلح في هذا الا اذا اقنعتهم بان الاسلام - دين كثرتهم- فيما عدا مسائل العقيدة والعبادة ، لا يتنافى مع النظرة العلمانية ، بل ليس من المغالات ان نقرر ان موقفه من اموردنيانا هو موقف علماني صرف " .

ويقول في موضع اخر عن المعنى الكامل للاجتهاد انه :

" لم يكن مقصورا على القياس بمعناه الضيق او تحديده المعروف في علم المنطق ، اي العثور في القرآن او السنة على مسائل مناظرة يطبق عليها نفس الحكم الذي شرعه القرآن او السنة لمسألة قديمة " بل هو الادلاء بالحكم الجديد على هدى المصلحة وحدها والاحتجاج له بانه يجلب منفعة او يدفع ضررا، وانه لذلك يكون حكما اسلاميا مقبولا " .

هذا- ان صح- مشجع .

وانا احمل اسم ابو ذر ولا احمل علمه بالدين .

مع ذلك سأجتهد في " استنباط " بعض الاحكام من آيات بعيدة عن احكام العبادات والمعاملات جميعا. خوفا من الخطأ الجسيم . من الاخطاء الجسيمة التي لا يسترها الاجتهاد- يا دكتور محمد النويهي- ان يكون تأويل النص القرآني . طريقا الى الغائه او نسخه. الله امر ونسخ . هذا صحيح. ولكنه هو الآمر الناسخ ، ولا اله الا الله .. هنا استنبط احكاما من ايات اجتهادا على هامش ملف الشورى واتعلم من الآيات دروسا في الصراع .

قال الله تعالى :

(١) " ولقد اتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين .اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التي انتم عليها عاكفون . قالوا وجدنا آبائنا لها عابدين . قال لقد كنتم انتم واباؤكم في ضلل مبين . قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين . قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن وانا على ذلكم من الشاهدين " .

(٢) " وتالله لاكيدن اصنمكم بعد ان تولوا مدبرين " .

(٣) " فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون . قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظلمين. قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم . قالوا فأتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون . قالوا أأنت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم . قال بل فعله كبيرهم هذا . فسئلوهم ان كانوا ينطقون " .

هذه مواقف ثلاثة . كل موقف منها يمثل مرحلة مختلفة من مراحل الصراع بين ابراهيم والكافرين. في الموقف الاول كان ابراهيم يدعو ويحاور عله يقنع الكافرين بالحق من غير صراع . في الموقف الثاني بدأ ابراهيم باعلان ارادته المؤكدة بانه مصر على الوصول الى غايته بالكيد وغيره ما دام الحوار لم يجد شيئا مع قوم يصرون على الضلال ولا يعقلون . ابراهيم هو الذي بدأ " فاعلن لخصومه ولم يكتف بفشل الحوار معهم . هذه ملحوظة تستحق الانتباه كان ابو ابراهيم وقومه على حال مستقر من عبادة الاوثان . كان ابراهيم الثائر على الواقع المستقر الذي يريد تغييره . بدأ هو الحوار. وهو الذي بدأ الصراع . لأن التوقف عند اية مرحلة من مراحل الثورة قبول لاستمرار الواقع . هو في الواقع هزيمة للثورة وتصفية لكل ما قطعته من مراحل المبادرة . الثورية للتقدميين دائما فان فقدوها لم يعودوا تقدميين ، لو كان

ابراهيم قد توقف عند نهاية الحوار مع ابيه وقومه لما توقف كفر الكافرين . انقطع الحوار فبدأ ابراهيم الصراع جهارا . يلزمنا مزيد من الانتباه الى اعلان الصراع . " تالله لاكيدن اصنمكم بعد ان تولوا مدبرين " . اعلن انه سيكيد . لم يقل لهم كيف يكون كيده . في الصراع لابد من اعلان المبدأ والهدف . على ضوء المبدأ والهدف يحدد كل واحد مواقفه. اما الخطط " التكتيكية " للتنفيذ فلا تعلن . ليس من حق العدو ان يعرف " كيف " تكيد له. لو عرف لاعد العدة دفاعا عن موقفه او هزيمة لموقفك . لو مكنته من المعرفة لهزمت نفسك وخنت قضيتك . لم يكن ابراهيم يجهل ما سيفعل كيدا . فاعلن موقفه واخفى خطته . كان هدف المرحلة ان ينجح في كيده ولم يكن هدفه من الحوار. النجاح في التنفيذ لا يتوقف على ما تستطيع. يتوقف ايضا على ما لا تستطيعه القوى المعادية. كل ثغرة في صفوفهم تفتح لنا بابا للتقدم . نعد العدة كاملة ونسلبهم عدتهم ان استطعنا . ابراهيم سيحطم الاصنام فكيف يتغلب على حارسيها . لكي ينجح لا يكفي ان يحمل فأساً في يده وشجاعة الايمان في قلبه . حبذا لو كانت الاصنام بغير حراس . اذن فليوحي اليهم ابراهيم بما يضعف مقدرتهم على المقاومة . اعلن لهم انه سيكيد اصنامهم " بعد ان تولوا مدبرين " . لم يكن هذا وعدا من ابراهيم لاعدائه . ان اخلفه قيل له " عيب " ان اخلاف الوعد غير اخلاقي . اخلاف الموعد مع الصديق ليس اخلاقيا. اخلاف الوعد مع العدو موقف اخلاقي ان كان يهزمه او يساعد على هزيمته. كان وعد ابراهيم تشتيتا لانتباههم . ان حرسوا اصنامهم فقد قال انه لن يضرب ضربته . يكفي اذن ان يوجد الحارسون حتى لو كانوا غير منتبهين اتكالا على ان مجرد علمه بوجودهم سيمنعه من المحاولة. ولكن ابراهيم نفذ وعيده.

ثم جاءوا به وبدأ الموقف الثالث. ابراهيم بين اعدائه. يحيطون به. بدأ استجوابه . " قالوا انت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم؟ ". بماذا يجيب ابراهيم؟ هل يصدقهم القول؟.. ذلك كان موقفه الاول في المرحلة الاولى . مرحلة الحوار والاحتكام الى العقل . مرحلة " الديموقراطية ". انهوا هم تلك المرحلة وبدأ هو مرحلة الصراع . الان هو وهم اعداء يواجه بعضهم بعضا . " قالوا انت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم "؟. ليس هذا السؤال في مرحلة الصراع بحثا عن الحقيقة بل بحثا عن مبرر شكلي لبطش مبيت. الصدق لا يكون الا بين الاصدقاء . لاحق للاعداء في ان يعرفوا الحقيقة لانهم لا يبحثون عنها ولا يرتضونها. فلقننا ابو الانبياء واحد من اهم قواعد التعامل مع الاعداء . حجب الحقيقة عنهم .

قال : " بل فعله كبيرهم هذا ".

ولم يكذب ابراهيم عليه السلام . فقد كان صادقا في موقفه الثالث كما كان صادقا في موقفيه الاول والثاني، والعبرة في كل موقف بظروفه الذاتية والموضوعية. بحيث يظل الموقف " التكتيكي " محكوما دائما بالهدف " الاستراتيجي " كما يحدده المبدأ " العقائدي ". ذلك هو مناط الصدق في الموقف. غير هذا موقف مثالي . المثالية فشل محض ولو ارضت فضول صاحبها او غروره.

على ضوء هذا :

فان تسجيل المواقف علنا لمجرد الحصول على البراءة الذاتية وافتراض الصدق فيما تعلنه القوى المعادية، والغضب منها، ان نكصت، وطرح الاسئلة فضولا لمجرد اكتشاف الاجابات الصحيحة ، والاجابات المتسرعة تحت تأثير استفزازات الاسئلة ، والتنازل عن المبدأ من اجل الاستراتيجية، والتنازل عن الاستراتيجية من أجل التكتيك،
والتنازل عن التكتيك من اجل الذات، ... ... الخ

كل هذا يخذلنا في معركتنا المصيرية ضد عدونا الشرس الواعي ، ثم انه يخالف احكاما استنبطناها من آي الذكر الحكيم .

والله اعلم

رد على رسالة شاب عربي :

أي بنى،

سألتني في العدد السابع من الشورى الجواب على اسئلة عدة وقلت لي :

" والدي،
" ان لم تجبني على اسئلتي فستكون من هؤلاء الكتاب القوميين الذين يعتقدون ان بكتابتهم عدة صفحات في مجله فقد ادوا كل واجبهم " .

جوابا اقول:

أي بنى،
ان كنت لا تعرف ان المنهج العلمي هو قسمة العمل بين متعددين بحيث يتحدد واجب كل واحد بمقدرته فاعرف. ان كنت لا تعرف ان مقدرتي لا تتجاوز المعرفة فاعرف. ان كنت لا تعرف انني اعتقد ان بكتابتي عدة صفحات في مجلة قد اديت كل واجبي فاعرف. ان كنت لا تعرف ان الادعاء بما يتجاوز المقدرة يجرح الامانة الذاتية ويضر بالاخرين فاعرف. ان كنت لا تعرف ان القادرين على حمل القلم قد لا يقدرون على حمل الرشاش فاعرف . ان كنت لا تعرف ان القادر على معرفة المشكلة قد لا يعرف حلها وان القادر على معرفة حلها قد لا يقدر على تنفيذه فاعرف . ان كنت لا تعرف ان ليس كل الذين يجهرون بالقومية قوميين فاعرف . ان كنت لا تعرف ان واجب اقامة التنظيم القومي اداة للثورة العربية هو واجبكم انتم الشباب فاعرف.

واخيرا ان كنت تريد ان تعرف من والدك ابي ذر كيف تؤدون واجبكم في اقامة التنظيم القومي اداة للثورة العربية ، فاحسب- يا ولدي- انني قد اجبت فيما كتبت من هذا المقال ، فتعرف عليه تعرف.
وفقك الله يا بني

ولك من والدك ابي ذر خالص التحية.

القاهرة في ٢١ أكتوبر ١٩٧٤

٧

الأخطبوط :

الاخطبوط حيوان مائي ينتمي الى فصيلة الرخويات له ثماني ارجل فيها محاجم ماصة يلتصق بها في فريسته . بعض انواع الاخطبوط يسمى " الحبير " مرجع اسمه إلى أنه يطلق من حوله مادة سوداء " كالحبر " تختلط بالماء فتحجبه عن الرؤية . وسيلة من وسائل التضليل . بالرغم من السواد القاتم الذي يخفي جسم الاخطبوط الصغير وتبدو اطراف ارجله الثمانية تضرب في كل اتجاه فيحسب الناظر اليه انه يرى ثمانية حيوانات " دودية " المظهر تتحرك منفصلة ومستقلة بعضها عن بعض .

ذكرني بالاخطبوط الواحد الخفي وارجله المتعددة الظاهرة، والضاربة في كل اتجاه ، مقال الاخ عبد الله بلال في ملف " الشورى " (العدد الثامن) .

قال الاخ عبد الله بلال تحت عنوان : " تحالف قوى الشعب العاملة ولماذا؟ " ، ان الحوار الذي دار حول تطوير صيغة الاتحاد الاشتراكي العربي قد كشف تيارات عديدة : " والكثير من هذه التيارات تستهدف ضرب صيغة التحالف بالمطالبة جهارا بتصفية تنظيم الاتحاد الاشتراكي العربي والدعوة الى تعدد الاحزاب " .

عددها فقال ، باختصار:

التيار الاول :

" يرى ان يتحول الاتحاد الاشتراكي الى حزب و منطق هؤلاء ان الاتحاد الاشتراكي العربي في شكله الراهن لا يمثل حزبا ولا مجموعة من الاحزاب وانه ينبغي في ممارسته العمل السياسي أن يسير كما يسير العالم باساليب حزبية ".

فيقول ابوذر :

تبدو هذه الدعوة عاطفة على الاتحاد الإشتراكي العربي فتقترح عليه صيغة اكثر انضباطا وفاعلية في العمل السياسي هي صيغة الحزب . غير ان وراء هذا العطف رغبة في تصفية الاتحاد الاشتراكي العربي من حيث هو صيغة تحالف قوى متعددة . اعنى أنه عندما يتحول الاتحاد الاشتراكي العربي الى حزب ينتهي التحالف وينفض الحلفاء ويبقى " الحزب " اداة للصراع ضد الذين كانوا يوما حلفاء متحالفين وعندما ينفض الحلف يسقط " ميثاقه " الذي التفت عليه القوى المتحالفة. ويسقط مع الميثاق الالتزام بكل ما جاء به وخاصة التحول الاشتراكي .

التيار الثاني :

" يرى تغيير اسم الاتحاد الاشتراكي العربي لان اسمه غير ذي مدلول ويطرح اسما بديلا عنه هو " التحالف الوطني المصري " .

فيقول ابوذر:

ان مقارنة الاسمين " الاتحاد الاشتراكي العربي " و " التحالف الوطني المصري " تكشف النوايا الخفية التي تحتج بالاسم كأنما الذي يعنيها هي العناوين . فالواقع ان " التحالف الوطني المصري " يبقى على التحالف ولكنه يحذف منه " العربي " و " الاشتراكي " وهي اسماء لمضامين مميزة لثورة ٢٣ يوليو . فكأن وراء الرغبة في تغيير الاسم نوايا مبيتة لتصفية ثورة ٢٣ يوليو في إتجاهها العربي عامة والاشتراكي خاصة .

التيار الثالث :

" يرى اصحابه الابقاء على الاتحاد الاشتراكي العربي بعد تحقيق شرط واحد هو الغاء نسبة الـ ٥٠% المخصصة كحد ادنى لتمثيل العمال والفلاحين " .

فيقول ابوذر:

لماذا العمال والفلاحون؟ لان عبد الناصر قد قال وهو يقدم الميثاق " فيه طبقة انداس عليها مئات السنين وفيه طبقة مغلوبة على امرها كانوا يعتبرونها سلعا انتاجية وهما العمال والفلاحين لازم تطلع وتاخد وضعها الطبيعي... والا لن نستطيع ان نقضي على الاستغلال " . والاشتراكية هي نظام الغاء الاستغلال فكأن اصحاب هذا التيار يريدون – خفية- تصفية الاتجاه الى التحول الاشتراكي .

التيار الرابع :

" يرى الغاء الاتحاد الاشتراكي والعودة الى نظام احزاب ما قبل ثورة ٢٣ يوليو .

فيقول ابوذر :

ان العودة الى نظام الاحزاب التي كانت قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢ هي عودة الى النظام الليبرالي . والنظام الليبرالي هو الشكل السياسي للنظام الراسمالي . فكأن هذا التيار يخفي نواياه في تسويد الحديث عن الديموقراطية ليعود الى الرأسمالية . غايته الخفية هي تصفية الاتجاه الى التحول الاشتراكي .

التيار الخامس :

" يرى الابقاء على الاتحاد الاشتراكي وابعاده عن النشاط السياسي وتحويله الى جهاز اداري للخدمات يمحو الامية في خمس سنوات مثلا " .

فيقول ابوذر :

ذلك لان القانون الاساسي للاتحاد الاشتراكي العربي قد اورد من بين اهداف الاتحاد الاشتراكي العربي هدفا يقول : " تحقيق الثورة الاشتراكية التي هي ثورة الشعب العامل " فان هذا التيار لا يضيف الى مهمات الاتحاد الاشتراكي العربي " محو الامية في خمس سنوات " بل يقدم له هذه المهمة في مقابل ان يتخلى عن هدفه الاصيل الذي هو انجاز التحول الاشتراكي.

التيار السادس:

يرى تصفية الاشتراكية.

فيقول ابوذر:

انتم الامناء مع انفسكم وان كنتم خائنين لمصالح الشعب . وجماع مصالح الشعب هو في النظام الاشتراكي .

التيار السابع :

يرى تصفية النظام كله.

فيقول ابوذر:

انهم الاعداء الشجعان . انهم يستحقون صرامة الردع ولكنهم يستحقون احترام الشجاعة. وهم بعد اهون ضررا من الاعداء المنافقين . وهم مثلهم يستهدفون من الحوار حول الاتحاد الاشتراكي العربي تصفية النظام كله، والنظام كله مصوغ تحت شعاره " حرية، وحدة، اشتراكية" فلا بأس عند هؤلاء من أن يخسروا الحرية والوحدة من اجل ألا يتم التحول الاشتراكي .

التيار الثامن :

يرى الابقاء على الاتحاد الاشتراكي العربي وتجريده من السلطة .

فيقول ابوذر:

ذلك لان القانون الاساسي للاتحاد الاشتراكي العربي الذي حدد له هدفا " تحقيق الثورة الاشتراكية التي هي ثورة الشعب العامل " منحه السلطة اللازمة لتحقيق هدفه فقال : " ان الاتحاد الاشتراكي العربي، وهو السلطة الشعبية، يقوم بالعمل القيادي والتوجيهي وبالرقابة التي يمارسها باسم الشعب بينما يقوم مجلس الامة، وهو سلطة الدولة العليا، ومعه المجالس النقابية والشعبية، بتنفيذ السياسة التي يرسمها الاتحاد الاشتراكي العربي ". فكأن غاية هذا التيار الثامن ان يسلب الاتحاد الاشتراكي العربي سلطة قيادة ورقابة الاجهزة المنوط بها تحقيق الثورة الاشتراكية .

من كل هذا يرى القراء ويرى الأخ عبد الله بلال ان ما اسماه تيارات متعددة افرد لكل منها فقرة خاصة انما هي أطراف ارجل الاخطبوط الكامن في جوف الماء الاسود الذي عكره بما افرزه من "حبر" ليختفي في ظلمته تضليلا . ونعلم أن القوى التي افرزت نفسها في الحوار حول تطوير الاتحاد الاشتراكي العربي تحت لافتات ديموقراطية او لا ديموقراطية ، حزبية او لا حزبية ، كانت تتصارع فعلا، بقسوة محدودة بما هو مباح ، حول قضية اساسية هي قضية التحول الاشتراكي. كانت المعركة الاصلية الخفية هي اشتراكية أو لا اشتراكية .

على ضوء هذا يستطيع القراء الذين تتبعوا الحوار ان يفهموا موقفين من الحوار مختلفين وان كانا متميزين بانتسابهما الى قوى اشتراكية .

الموقف الاول :

هو موقف الجماهير العريضة من الفلاحين والعمال والطلاب وبعض المثقفين الذين اشتركوا في الحوار تحت شعار " الناصرية " هؤلاء دافعوا بحرارة عن الاتحاد الاشتراكي العربي وقدموا مقترحات ايجابية لتطويره وكان وجه الغموض الظاهري في موقفهم كما رآه البعض انهم يدافعون عن تنظيم هم قاعدته التي لم تستطع- في الممارسة تحويله الى اداة فعالة لتحقيق ارادتهم . كان يبدو غريبا من الذين لم ينصفهم الاتحاد الاشتراكي العربي - في الممارسة - ان يدافعوا عنه . غير ان هذا الغموض الظاهر الذي بدا غريباً للبعض كان موقفا سليما وواقعيا وموضوعيا لأن تلك الجماهير العريضة كانت اوعى بواقعها الموضوعي من ناقديها السطحيين . لقد استطاع العمال والفلاحون والطلاب وبعض المثقفين ان يتبينوا ما وراء الصخب الدائر حول قضايا الديموقراطية . تبينوا ان المعركة الدائرة تحت لافتات ديموقراطية هي دائرة اصلا حول قضية الاشتراكية . ولقد كان يكفي لكشف هذه الحقيقة معرفة النوعيات التي هاجمت الاتحاد الاشتراكي العربي . انها- اغلبها- ينتمي الى الاقطاع والرأسمالية المضروبة من قبل ، خرجت من جحورها تناور ، وتنافق ، وتتمحك بالديموقراطية وهدفها الاساسي هو العودة الى النظام الرأسمالي وتصفية ما تم من انجازات التحول الاشتراكي .

الموقف الثاني .

هو موقف التيار التاسع ويستحق فقرة خاصة.

الرجل التاسعة:

قلنا ان للاخطبوط ثماني ارجل فقط . وليس له رجل تاسعة . ولكن الاخ عبد الله بلال قد لاحظ ان الاخطبوط السياسي الذي يحاول ان يلتف ويمتص المكاسب الشعبية في معركة تطوير الاتحاد الاشتراكي العربي رجلا تاسعة اسماها التيار التاسع ..

قال :

التيار التاسع :

وهذا التيار يبلور موقف ورأي اليسار ودوره في اطار التحالف. وينادي هذا التيار بأنه يمكن الاتحاد الاشتراكي العربي والقوى الاجتماعية الداخلة فيه من ان تعبر عن نفسها من خلال منابرها الخاصة وان يحتضن الاتحاد الاشتراكى العربي افكار واتجاهات جميع القوى المتحالفة وذلك بتنظيم الحوار فيما بينها ديموقراطيا مع تحديد اهم المصالح الخاصة بكل قوة اجتماعية وترتيب أولوياتها بحيث لا تتعارض مع المصالح الموحدة ذات الوزن القومي الشامل " .

" وينادي عناصر هذا التيار الماركسي بان اتاحة تعدد الاحزاب لا تعني ان الصراع الاجتماعي لا بد ان يتعرض لمسار دموي تشهد بذلك تجربة اغلب دول العالم وعراقة مصر كفيلة بدرء هذا الخطر. واذا احتاج الامر الى تعديل في الدستور فان التعديل ضروري لمواجهة تطوير الاتحاد الاشتراكي العربي ، ويكون العمل السياسي وحده هو اداة تجمع الاحزاب الوطنية ".

نلاحظ :

(١) ان في التيار " اليساري " تيارين . الاول يقترح اجراءات تسمح بتنظيم الحوار الديموقراطي داخل الاتحاد الاشتراكي العربي مع قبول الاتحاد الاشتراكي العربي صيغة لتحالف قوى الشعب العاملة . وهذا التيار اليساري يرفض عودة الاحزاب وتنتمي اليه الجماهير العريضة التي دافعت عن الاتحاد الاشتراكي العربي وقدمت مقترحات ايجابية للممارسة الديموقراطية داخله. ولا ينتمي الماركسيون الى هذا التيار . انه - على وجه - تيار ناصري .

(٢) ان في التيار " اليساري " تيارا ثانيا هو التيار الماركسي . وكعادة الماركسيين في مواجهة كل مشكلة اجتماعية لم يرد فيها نص ينقسم هذا التيار الى ثلاث شعب :

أ- شعبة تتبنى التيار اليساري الناصري الذي اوردناه من قبل على أمل ان تتحول المنابر المتعددة داخل الاتحاد الاشتراكي العربي الى احزاب متعددة من خلال الممارسة.

ب- شعبة تتبنى تصفية الاتحاد الاشتراكي العربي والعودة الى الاحزاب وتقدم بدلا من صيغة التحالف في الاتحاد الاشتراكي العربي صيغة الجبهة بين الاحزاب الوطنية دون ان تقول كيف يمكن حمل الاحزاب على قبول الجبهة.

جـ- شعبة اخرى تقول بالنص : " ان الشيوعيين المصريين يقفون الى جانب الليبراليين المصريين في نضالهم ضد احتكار السلطة " . ويقولون بالنص : " ان شعار تحويل ٢٣ يوليو إلى نظام كما اعلن السادات لا يعني الا شيئا واحدا وهو ان جميع المصريين سواء الذين عزلوا سياسيا في الفترة السابقة (لأسباب سياسية او اجتماعية) او الذين لم يعزلوا متساوون في الحقوق السياسية والجميع يساهمون في بناء البلاد " . ويقولون بالنص : " ان نقطة البداية هي في التخلص من هذه الصيغ: الكفاية و ا لعدل- الـ ٥٠% عمال وفلاحين ... ا لخ . لانها عقبات حقيقية في سبيل اقامة حلف وطني ؟ " . ويقولون بالنص : " ان الثورة في بلادنا تمر بمرحلة الثورة الوطنية الديموقراطية التي تسمح بتطور ملائم للرأسمالية . ان مضمونها ما زال بورجوازيا بمعنى انها لن تقضي على رأس المال بل سيسمح له بالتطور والنمو بطريقة ملائمة " . ويقولون بالنص : " ان شعارات الاشتراكية سواء كانت ماركسية او ميثاقية لا تصلح اليوم لبلادنا " . ويقولون بالنص : " ان الحديث فقط عن القطاع العام دون القطاع الخاص هو شعار يساري المظهر لا يفعل شيئا سوى ان يفسد القطاع العام .. اننا نرى ان العقبة هي في عدم الاعتراف باهمية وضرورة تطور ونمو القطاع الخاص ،.. ثم ينادون بتصفية الاتحاد الاشتراكي العربي وعودة الاحزاب .

وهكذا يرى الاخ عبد الله بلال ، وقراء " الشورى " ان شعب التيار الماركسي ليست أصيلة، انها "زغب " او نتوءات على ارجل الاخطبوط الرجعي الكامن في الماء العكر ويصدق ما نعرفه من ان للاخطبوط ثماني ارجل فقط .

درس من الاغتراب الحضاري :

كان حديثنا عن " الاخطبوط " مقدمة يريد " العم " ابوذر ان يخلص منها الى درس تعلمه مبكرا ودفع ثمنه غاليا ، ويريد ان ينقله الى الجيل العربي الجديد من الشباب العربي . يقول هذا الدرس انه عندما يحتدم الصراع بين القوى الاجتماعية يدعى كل منها حقا ويقدم كل منها ادلة على حقه، وتتشابك الدعاوى والادلة ، ويثور غبار المعركة، يكون على كل حريص على ان يصل الى الموقف الصحيح ان يحصن نفسه ضد اغراء واستفزازات الصخب الظاهر ويحاول ان يتبين في جوف الغبار الداكن جسم " الاخطبوط " عندئذ يعرف حقيقة المعركة فيستطيع ان يأخذ الموقف الصحيح . بغير هذا قد يجد حسنو النوايا انفسهم مقاتلين في صفوف اعدائهم ضد غاياتهم ، ولقد سقط في المعارك كثيرون شهداء حسن نواياهم بدون ان يفطنوا - قبل ان يسقطوا- الى انهم كانوا شهداء غبائهم .

اعتقد- بقدر فهمي للغة العربية واساليب صياغتها- ان هذا هو الدرس الذي اراد ان يطرحه الاستاذ مطاع صفدي في مقاله " العويص " عن " الاغتراب الحضاري " في العدد الثامن من الشورى . قال :

"... تظل ظاهرة التناقض الصدامي المادي (الصراع السياسي) هي الظاهرة الدالة عن باطن العملية الجدلية في اشتمالها الفنى ذاك (الصراع الاجتماعي) شرط الا يتحدد الوعي بتلك الظاهرة (يقصر انتباهه عليها) بل يستند اليها باعتبارها المجال الموضوعي لبروز عناصر الصراع ، على ان يتخطاها الى جدلية هذه العناصر (يتبين ما تحتها من عوامل الصراع الاجتماعي).

" ان الصراع اليومي الذي تستقطبه الفعاليات السياسية وحتى العسكرية ، والاستراتيجية يؤلف حقيقة الظاهرة الدالة (على وجود صراع اجتماعي) وقد اعتاد ان يشد الوعي الجمهوري (وعي الجماهير) الى

منبهاته الحادة المستمرة . وبالمقابل كان هذا الوعي الجمهوري بدوره يؤلف ردا انفعاليا يثبت مثول المقاومة المباشرة ويعطيها حضورها المادي الواضع (يجسد المقاومة) ولكن عندما يتوقف الوعي عند حدودها الاولية (عندها يقف عند ادراك الصراع السياسي فقط) يحدد ذاته و يضعف مقدرته (يلغى ممارسته) .

" اذ بينما تخدم الظاهرة الدالة في مجال احداث الصدمة (تحرك الصراع) فانها تجتزىء الوعي (تضعفه) عن متابعة بقية مستويات النشاط الجدلي المتوغل في حركة الصيرورة الاجتماعية للحضارة المقاومة (الكامن في حركة الواقع الموضوعي المحرك للصراع) وتقلصه (تقصر حركة الوعي) فى اطار ردود الفعل الانية على ظاهرة الصراع الصدامي كما يجري في الساحة الجماهيرية التي تمسرح وتضم اقطاب الصراع (تظهر وتكشف القوى المتصارعة) دون ان تبنى فعالية اشتمال وتجاوز نحو الصيرورة الاعمق (دون ان تسمح بالتأثير الشامل في حركة الواقع الموضوعي) .

" هكذا تتقلص بالتالي حركة الوعي (تقل) و تخلق حولها ظروف اغتراب (انفصال) لا يلبث ان يفصلها، هذا بدوره (الاغتراب) عن اساسية الاغتراب الاشمل (رفض الواقع جملة) التى تنبع هي عنه في الاصل (لان الواقع الموضوعى هو الذي تشير اليه الدالة الظاهرة الذي يؤدي تركيز الانتباه عليه الى عدم ادراك عوامل الصراع الكامنة في الواقع الشامل للدالة الظاهرة وغيرها)...

يكفي هذا فقد تعبت ولم استطع ان " اترجم " باقي الفقرة " بمستوى جدارتها التاريخية وليس منطقيتها العقلانية فحسب " .

هكذا يرى الجيل الجديد من الشباب العربي ان مطاع صفدي وابا ذر متفقان والله أعلم .

استدراك :

ان كل ما قيل فيما سبق هو عرض وتعليق وانضاج لما طرح على صفحات العدد الثامن من "الشورى " من حديث عن الحوار الذي دار حول تطوير الاتحاد الاشتراكي العربي وليس فيه رأي ابي ذر . قلنا في اعداد سابقة اننا لا نقدم هنا وجبات من عندنا بل نأخذ الوجبات المقدمة كما هي ونضعها على السفود لتنضج .

ولكي اوضح لابنائي من الجيل العربي الجديد الذي يعنيني قبل كل قارىء لماذا استدرك هنا كما لو كنت اخفي شيئا لا اريد ان اقوله ، اقول :

ان لدينا ثلاث مؤسسات جماهيرية تحمل كل منها اسم " الاتحاد الاشتراكي العربي " :

١- المؤسسة الاولى :

هي الاتحاد الاشتراكي العربي كما جاء في الميثاق وفي قانونه الاساسي . تحالف من قوى الشعب العاملة : الفلاحين والعمال والجنود والمثقفين والرأسمالية الوطنية . يقوده حزب اشتراكي يقال له "طليعة الاشتراكيين" هذا " الاتحاد الاشتراكي العربي " مفهوم من حيث هو متكامل البنية. فلا بد لكل حلف من قيادة ، والقيادة هنا للحزب الاشتراكي " طليعة الاشتراكيين" .

٢- المؤسسة الثانية:

هي " الاتحاد الاشتراكي العربي " كما تحقق في الممارسة . تحالف من قوى الشعب العاملة: الفلاحين والعمال والجنود والمثقفين والرأسمالية الوطنية يقوده حزب يقال له : " طليعة الاشتراكيين" انتقت اعضاءه الرأسمالية الوطنية والبيروقراطية التابعة لها فحال الحزب - عن طريق احتكاره لقيادة المؤسسة الجماهيرية - دون ان يشترك الفلاحون والعمال والجنود والمثقفون في اتخاذ القرارات السياسية التي " تحقق الثورة الاشتراكية ". اصبح الفلاحون والعمال والجنود والمثقفون تابعين للرأسمالية الوطنية والبيروقراطية وليسوا حلفاء فانفض الحلف عمليا - في الممارسة- بالرغم من وثائقه الفكرية ونظامه الاسا سي .

٣- المؤسسة الثالثة:

هي الاتحاد الاشتراكي العربي كما هي حاليا . تحالف بين قوى الشعب العاملة : الفلاحين والعمال والجنود والمثقفين والرأسمالية الوطنية ولكن بدون حزب قائد للتحالف ، لا اشتراكي ولا غير اشتراكي انه هنا تجمع جماهيري بدون قيادة من داخله ، فهو في مرحلة ركود في انتظار ما يسفر عنه الحوار حول تطويره .

الذي لم يفهمه ابوذر ابدا هو : على أية واحدة من هذه المؤسسات الجماهيرية التي تحمل اسما واحدا ولكنها مختلفة نوعيا كان ينصب الهجوم او يقوم الدفاع . كان المتحاورون يتحدثون لغة واحدة عن " الاتحاد الاشتراكي العربي " ولكن كل واحد منهم كان يعني مؤسسة بعينها من نماذج " الاتحاد الاشتراكي العربي " الثلاثة . وبعضهم كان يخلط بين المؤسسات جميعا فلا يفهم ابوذر شيئا مما يقولون.

كان ابوذر يرى ان المواقف لا ينبغي علميا ان تخرج عن واحد من اثنين :

١- الموقف الاول يستند الى ان " التطوير " يعني تغيير الواقع ليطابق النظرية ومؤداه تطوير "الاتحاد الاشتراكي العربي " الواقع (المؤسسة رقم ٣) ليطابق " الاتحاد الاشتراكي العربي " كما جاء في الميثاق والقانون الاساسي (المؤسسة رقم ١) على ضوء السلبيات التي اسفرت عنها المؤسسة رقم ٢..

٢- الموقف الثاني يستند الى خطأ النظرية (الميثاق) . ومؤداه ليس تصفية الاتحاد الاشتراكي العربي فقط بل تصفية تحالف قوى الشعب العاملة ، وتصفية القطاع العام .. باختصار تصفية ثورة ٢٣ يوليو لحساب العودة الى ما قبل ١٩٥٢ او لحساب نظام بديل جديد .

غير ان الحوار اختلط والمواقف تعددت وتداخلت جهلا او نفاقا او تكتيكا يحسب نفسه ذكيا حتى اصبح للأخطبوط تسعة ارجل .

فاعتزل ابوذر الحوار، ربما قدوة بابي ذر رضى الله عنه الذي اعتزل او عزلوه في موضع قاحل خارج المدينة... حتى مات .

بالمناسبة:

بهذه المناسبة احييى الاخ حسن العلواني على مقاله القيم " الثورة الاجتماعية في فكر عبد الناصر" تعجبني المقالات المدروسة المدعومة بالارقام الرياضية . الارقام احسم دليلا من الكلمات لانها لا تحتمل التأويل . بعد استنفاد الارقام الحاسمة ، عاد الاخ حسن العلواني الى الحديث عن تحالف قوى الشعب

العاملة وهم الفلاحون والعمال والمثقفون والجنود والرأسمالية الوطنية . وهو ذات الموضوع الذي تحدث عنه من قبل في سياق حديثه عن " تحالف قوى الشعب العاملة.. ولماذا؟ " الاخ عبد الله بلال .

انه موضوع نجده في كل حديث عن عبد الناصر او الناصرية .

نجد دفاعا عنه في كل دفاع عن عبد الناصر او الناصرية .

ونجد هجوما عليه في كل هجوم على عبد الناصر او الناصرية .

وهذا حق .

فتحالف قوى الشعب العاملة صيغة ابدعها الزعيم الراحل جمال عبد الناصر وضمنها الميثاق وقامت عليها المؤسسة الجماهيرية " الاتحاد الاشتراكي العربي " فهي لصيقة بالناصرية. من هنا فانها تستحق من كافة الشباب العربي، ومن الناصريين، كهولا وشيوخا ، العناية بها ودراستها وتعميق اصولها الفكرية وحدودها التطبيقية. وينتهز ابوذر هذه المناسبة ليقدم الى الشباب العربي من الجيل الجديد موضوعين للدراسة.

الاول: ان صيغة تحالف قوى الشعب العاملة، مثلها مثل كل تحالف، لا تقوم الا اذا تضمنت قيادة لهذا التحالف، تتجه به الى غايات محددة من قبل . هي التي يتم على اساسها التحالف. ولقد كان الميثاق الذي قدمه الزعيم الراحل جمال عبد الناصر هو " ميثاق " التحالف الذي يحدد غاية حركة نضال القوى المتحالفة . اما القيادة- في الميثاق- فكانت لطليعة الاشتراكيين وهو الاسم الذي اختير حينئذ للناصريين بقيادة جمال عبد الناصر .

السؤال هو : ما الرأي في هذه الصيغة (التحالف) اذا قامت على ميثاق " غير ناصري " او اذا كانت بقيادة غير الناصريين؟.. بصيغة اخرى : هل التحالف مقصود بذاته حتى في حالة الاغتراب (مع الاعتذار للاستاذ مطاع صفدي) عن مضمونه وغايته وبحيث يكون على الناصريين في كل الظروف ان يتمسكوا بالتحالف حتى لو كانت قيادته او غايته غير ناصرية؟..

الثاني : ان من مبررات صيغة تحالف قوى الشعب العاملة تجنيب القوى الشعبية مخاطر الصراع الاجتماعي وهذا مبرر بأن الصيغة قد وضعت في وقت كانت معارك التحرر على اشدها. ومعارك التحرر تفرض على جميع القوى الاجتماعية التحالف ضد العدو المشترك . من ناحية اخرى وضعت صيغة تحالف قوى الشعب العاملة بينما كان جمال عبد الناصر في السلطة ملتزما ومنفذا لمراحل التحول الاشتراكي ، وكانت تلك الصيغة بديلا عن " الصراع الطبقي " او وسيلة لتذويب الفروق بين الطبقات سلميا كما جاء في الميثاق .

السؤال هو : لو انتهت معارك التحرر، أو اذ لم يعد الاشتراكيون الناصريون في السلطة، وبالتالي لم يعد في امكانهم ، عن طريق التشريع القانوني والتطوير الاقتصادي ، تذويب الفروق بين الطبقات، هل يكون على الناصريين ان يبقوا ملتزمين بصيغة تحالف قوى الشعب العاملة وتجنب الصراع الاجتماعي (الطبقي) .

في سؤال واحد :

هل صيغة تحالف قوى الشعب العاملة من حيث هي أداة نضالية " مبدأ " ام استراتيجية ناصرية ام تكتيك مرحلي يشترط فيه ان يكون تحت قيادة الناصريين؟..

لكي تكون الاجابة اسهل، يرجو ابوذر الشباب العربي من الجيل الجديد الا يحصر نفسه- وهو يبحث عن الاجابة- في الاقطار التي تأخذ بهذه الصيغة حاليا وهي مصر العربية صاحبة التجربة الناصرية وليبيا العربية الامتداد للثورة الناصرية ، بل تصوروا انفسكم تبحثون عن الاجابة في لبنان او السعودية او العراق او تونس مثلاً ...

ذلك لان ابا ذر يتمنى لكم دائما ان تروا كل المشكلات من موقف قومي تمتد رؤيته لتحيط بوطنكم العربي الكبير ، وفي الاجابة على هذين السؤالين تدريب لكم على تناول المشكلات على مستواها القومي .

والسلام عليكم ورحمة الله و بركاته .

القاهرة في نوفمبر ١٩٧٤